# مِثَالٍ

الطَّرِيقُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الحَلَقَاتِ القُرْآنِيَّةِ

# مُتْقِن

## الطَّرِيقُ إِلَى الرِّيَادَةِ فِي الحَلَقَاتِ القُرْآنِيَّة

فَايِز بْن سَعِيد الزَّهْرَانِي

حقوق الطبع محفوظة

ح آفاق المعرفة، ١٤٤٦هـ

الزهراني، فايز سعيد صالح

مثان. / فايز سعيد صالح الزهراني - ط٣ - الرياض، ١٤٤٦هـ

ص ٢٦١؛ ١٤×٢١ سم

رقم الإيداع: ١٥٨٨٧/ ١٤٤٦

ردمك: ٥-٩-٩٢٢٢٠٦-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٥٨٨٧/ ١٤٤٦

ردمك: ٥-٩-٩٢٢٢٠٦-٦٠٣-٩٧٨

**الطبعة الثالثة**

**١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م**

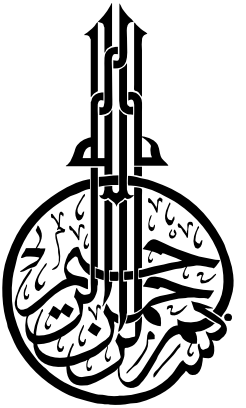
بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس المحتويات


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| **المقدمة** ..... | ٩ |
| **الفصل الأول: الحلقات والتربية القرآنية** ..... | ١٣ |
| الخيرية الخالدة ..... | ١٥ |
| التربية بالمثاني ..... | ٢٦ |
| حاجة الحلقات إلىٰ التربية القرآنية ..... | ٤٣ |
| التربية القرآنية في العهد المكي ..... | ٥٩ |
| **الفصل الثاني: معالم التربية والتعليم في الحلقات** | ٩١ |
| منهج التربية والتعليم في الحلقات ..... | ٩٣ |
| الحلقات ورعاية الحفاظ ..... | ١١٤ |
| الحلقات وأنماط المتعلمين ..... | ١٣٨ |
| معلمو القرآن، التأهيل والإعداد ..... | ١٥١ |
| التربية والتعليم في حلقات البنات ..... | ١٦٨ |
| الحلقات في شهر رمضان ..... | ١٨٩ |

الحلقات والتربية علىٰ التلاوة ..... ٢٠٠
الحلقات والتعليم عن بُعد ..... ٢١٣
**الفصل الثالث: إطلالة على الحلقات الأولى** ..... ٢٢٥
عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومدرسة الكوفة ..... ٢٣١
أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحلقات دمشق ..... ٢٤٦
**المراجع** ..... ٢٥٤

# المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على الناس كتاباً يهديهم للتي هي أقوم، ويقصُّ عليهم التي هي أحسن، أحمده حمداً لا ينقطع صداه، وأشكره راجياً بالشكر رضاه، وأثني عليه واللسان يعجز عن بلوغ ثناه.

وأصلي على سيدي النبي الأمي، الذي يؤمن بالله وكلماته، سيد القراء وإمام الحفاظ ودرة تاج التلَّائين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أنصار الله وحَمَلة الرسالة، الذين لم يألوا جهداً في الجهاد والبلاغ، وأسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية أن أنزل عليهم كتابه العزيز، وأرسل إليهم رسوله الكريم، فأضاءت الأرض بهما، وزانت الدنيا بوجودهما، وسعد الإنسان وعرف ربه وتعلَّم عبادته واهتدى إلى الصراط المستقيم.

يا لها من نعمة ما أجلَّها! ويا لها من منحة ما أبهاها! قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤].

وتنتشر الحلقات القرآنية اليوم في مساجد المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، الحلقات التي تُعنى بتعليم الأجيال الجديدة كتاب الله تعالى، متخطية الظروف التي تكتنف محيطها: فتية يأتون إلى المساجد كلَّ يوم، يحفظون ما تيسر لهم من القرآن الكريم، ويتأدبون بآدابه.

هذه الحلقات القرآنية أسهمت بشكل كبير في بناء جيل مؤمن يستهدي بكتاب الله تعالى، ويتسامى فوق الشهوات والمغريات والملهيات، ويتخطى الكمائن والحيل التي صنعها له عدوُّ الإسلام.

هذه الحلقات القرآنية كانت ولا تزال صِمَام أمان في المجتمعات، وسدّاً منيعاً أمام طوفان الشبهات والأفكار، يقوم عليها خيرة الناس وأفاضلهم؛ أولئك الذين تجرَّدوا من حظوظ الدنيا، وطلَّقوا الصفق في الأسواق، وفاتهم الكثير الكثير من مباهج الحياة المادية.

هذه الحلقات القرآنية ثغر من ثغور المسلمين، يجب على الأمة أن تكون للمرابطين فيها سنداً وظهيراً، تمدهم بالمال وتكلؤهم من ورائهم، وتجود عليهم بالنصح والتسديد.

هذه الحلقات القرآنية تقوم بالدور الذي قامت به المدارس النظامية والكتاتيب القرآنية والمعاهد الشرعية من قبل، فكان الأثر كالأثر، ونرجو أن يصل إلى أبلغ الأثر.

وقد كان يجول في خاطري أن أنسج رسالة نافعة لتلك الثلة المباركة القائمة على هذا الثغر العظيم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:٣]. ومحاولة لفتح بعض الآفاق التي أطمح أن تكون محل نقاش وإثراء وتحسين وتنفيذ، فيسر الله تعالى نشر كتاب «مثان، الطريق إلى الريادة في الحلقات القرآنية» في طبعته الأولى قبل عشر سنوات ثم الثانية، ثم أعدت النظر فيه وتأملت فصوله ومباحثه، وانعقد العزم على تهذيبه وتنقيحه وتصحيحه، وحذف الاستطرادات التي قد لا يحتاجها القارئ في هذا الكتاب، وإعادة ترتيب بعض مباحثه وحذف بعضها كذلك، ذلك أن أصل الكتاب مقالات يسر الله كتابتها في وقت مضى، والمقالات لها وقتها وظرفها ولغتها، حتى استقر الأمر على ما تراه بين يديك.

وقد راجعته مراراً وتحريت فيه أن يكون مناسباً لمعلم الحلقة، ولكل معتنٍ بالتربية القرآنية المحمدية، واجتهدت ما وسعني الجهد، ولا أزكي نفسي ولا عملي ولا كتابي، فإنه لا عصمة إلا لكتاب الله، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨]. بل أقول كما قال ياقوت الحموي في معجمه: (وفي أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها؛

فلْيعذر الناظر في كتابي هذا، ومن كان عنده أهلية ومعرفة وقتل شيئاً منها علماً فقد أذنتُ له في إصلاحه مأجوراً)[1].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهلك وخاصتك، واجعلنا من أصحاب القرآن الذين يقال لهم في الجنة: اقرأوا وارقوا ورتِّلوا كما كنتم ترتِّلون في الدنيا، فإن منزلتكم عند آخر آية تقرؤونها.

رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً. آمين.

وكتبه الفقير إلىٰ عفو ربه ومولاه

فَايِز بْن سَعِيْد الزَّهْرَانِي

١١ رمضان ١٤٤٦هـ

(١) معجم البلدان: ٣/ ٩٨.

# الفصل الأول

## الحلقات والتربية القرآنية

# الخيرية الخالدة

إن تعليم القرآن الكريم من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه؛ إذ إن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم هنا هو القرآن الكريم الذي تكلَّم الله عز وجلَّ به وأنزله على رسوله الأمين ﷺ ليكون للعالمين هدىً وشفاءً، وبشيراً ونذيراً، لا يأتيه الباطل أبداً، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

وفي المأثور ما يدل على فضل تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه على وجه العموم، وما يدل على فضل تعليمه في الحلقات على وجه الخصوص. وسنتناول -إن شاء الله- شيئاً من هذه النصوص بما يفي بالمقصود ويغني عن الإطالة.

## ■ فضل تعلُّم القرآن وتعليمه

روى التابعي المقرئ أبو عبد الرحمن السُّلَمي رحمه الله عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1]. فأقرَأَ أبو عبد الرحمن السُّلَمي القرآن الكريم في فترة طويلة امتدت من خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى زمن ولايةِ

(١) البخاري (٥٠١٤).

الحجاجَ العراقَ لعبد الملك بن مروان حينها، وقال: (وذاك -أي هذا الحديث- الذي أقعدني مقعدي هذا)[1]. قال أبو إسحاق السبيعي: (إن أبا عبد الرحمن السُّلَمي كان يُقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة)[2]. عقود من الزمان يقضيها في تحفيظ كتاب الله تعالى.

وكان ﷺ يذكِّر أصحابه بفضل تعلُّم القرآن ويغرس فيهم عظَمَتَه، وأنه مهما فاتهم من مباهج الدنيا وأموالها، فلا يُعَدُّ شيئاً مع فوات تعلمهم كلام الله عز وجل، فقد خرج النبي ﷺ إلى أهل الصفة، وهم فقراء المهاجرين الذين لا مأوى لهم، ولفت نظرهم إلى هذا الأمر، يقول عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو واحد منهم: (خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: «أيكم يحب أن يغدوَ كلَّ يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟» قلنا: يا رسول الله، نحب ذلك. قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[3].

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٨/ ٦٩٤: بين أول خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآخر ولاية الحجاج العراق: اثنتان وسبعون سنة إلا ثلاثة أشهر، وبين خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأول ولاية الحجاج العراق ثمانٍ وثلاثون سنة.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ١٤٧.

(٣) مسلم (٨٠٣).

هذا الفضل وعد به رسول الله ﷺ من تعلَّم آيتين من القرآن أو ثلاثاً أو أربعاً أو أكثر، وهو يخاطب الفقراء من أهل الصفة، ويقارن لهم بين تعلُّم الآية والحصول على مغنم دنيوي؛ فكيف سيكون ثواب من علم هذه الآيات وكان سبباً في تعلُّمها!

هذا، وإن تعليم القرآن الكريم يفضي إلى (ديمومة) كسب الثواب من الله الكريم، طيلة حياة معلِّم القرآن وبعد مماته، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[1]. قال ابن جماعة: (إذا نظرتَ وجدتَ معاني الثلاثة موجودة في معلِّم العلم: أما الصدقة فإقراؤه إيَّاه العلم وإفادته إيَّاه، ألا ترى إلى قوله ﷺ في المصلي وحده: «من يتصدق على هذا؟»[2]، أي بالصلاة معه لتحصل له فضيلة الجماعة... وأما العلم المنتفع به فظاهر، لأنه كان سبباً لإيصال ذلك العلم إلى كل من انتفع به. وأما الدعاء الصالح له فالمعتاد المستقرأ على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم وأئمتهم، وبعض أهل العلم يدعون لكل من يُذكَر عنه شيء من العلم، وربما يقرأ بعضهم الحديث بسنده فيدعو لجميع رجال السند، فسبحان من اختص من شاء من

---

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) أبو داود (٥٧٤) وابن حبان (٥٥٩٩).

عباده بما شاء من جزيل عطائه)[1].

بل يتعدى مصدر حصول الأجر لمعلم القرآن إلى جميع سلسلة الذين استفادوا بسببه والذين تعاقبوا على حفظ القرآن أو بعضه؛ فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من علَّم آية من كتاب الله عز وجلَّ كان له ثوابها ما تُلِيَتْ»[2]. فتأمل هذه الأجور العظيمة التي يَحسُن التنبيه إليها في عصر طغت فيه المادة وأصبحت مهيمنة على حسابات التكسب.

وقد ورد في بعض الأحاديث الأمر الصريح بتعليم القرآن؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً فقال: «ما معك يا فلان» قال: معي كذا وكذا وكذا وسورة البقرة. قال «أمعك سورة البقرة؟» فقال: نعم. قال: «فاذهب فأنت أميرهم». فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها. فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن فاقرؤوه وأَقرِئوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم، ص١٥٨.
(٢) السلسلة الصحيحة (١٣٣٥).

فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكئ على مسك»[1]. فالنبي ﷺ يرشدهم إلى أهمية حفظ القرآن الكريم وأهمية القيام به.

وكان تعليم القرآن هدي شريحة من أصحاب النبي ﷺ، إذ كان يكلفهم بذلك، فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ شُغِل، فإذا قدم الرجل وقد أسلم على يد رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا ليعلمه القرآن، فدفع إليَّ رسول الله ﷺ رجلاً كان معي في البيت، وكنت أقرئه القرآن)[2].

وبعث رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن يأمرهما أن يعلِّما الناس القرآن[3]. كما كان هو هديه ﷺ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (والله لقد أخذت من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة)[4].

ولذلك نص العلماء على أن تعليم القرآن الكريم وتعلُّمه فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به من يكفي أَثِمَ كل من لديه القدرة على ذلك، قال النووي رحمه الله: (تعليم المتعلمين -أي القرآن الكريم- فرض كفاية، فإن لم يكن من

---

(١) الترمذي (٢٨٧٦).
(٢) المستدرك (٥٦٢٥).
(٣) المسند (١٩٥٤٣).
(٤) البخاري (٤٩٨٧).

يصلح له إلا واحد تعيَّن عليه، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم، وامتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طُلِب من أحدهم فامتنع، فأظهَرُ الوجهين أنه لا يأثم، لكنه يُكره له ذلك إذا لم يكن له عذر)[1].

وقد كان تعليم القرآن أصل التعليم وأساسه، قال الميموني: (سألت أحمد: أيُّما أحبُّ إليك، أبدأُ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن القرآن. قلت: أعلمه كلَّه؟ قال: إلا أن يعسر عليه فتعلمه منه. ثم قال: إذا قرأ أولاً تعود القراءة ولزمها)[2]. وقال ابن خلدون: (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات)[3].

إن ما أوردته من النصوص في فضل تعلُّم القرآن وتعليمه إنما هو غيض من فيض. ولكن أردت التذكير بفضل ذلك والتنبيه على رفعة معلم القرآن عند الله عز وجل، فهو يقوم بفرض كفائي ويسد ثغراً في الأمة.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٣٣.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢١٤.
(٣) المقدمة ص٤٦١.

## ■ فضل تعليم القرآن في الحلقات خصوصاً

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1]. ففي هذا الحديث بيان فضل الاجتماع بغرض مدارسة القرآن وتلاوته في جماعة، في المسجد، قال ابن الأثير في معنى المدراسة: (أي اقرؤوه وتعهَّدوه لئلا تنسوه، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء)[2]. وقال النووي رحمه الله: (وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور... ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط، ونحوهما إن شاء الله تعالى، ويدل عليه الحديث الذي بعده [يقصد: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة...» الحديث] فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج على الغالب...)[3].

ومما كان النبي ﷺ يتعاهده مع أهل الصُّفَّة: تعليمهم القرآن الكريم؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أقبل أبو طلحة يوماً فإذا

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).
(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ١١٣.
(٣) المنهاج ١٧/ ٢٤.

النبي ﷺ قائم يُقرِئ أصحاب الصفة، على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع)[1]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»[2]. فهذا يدل على فضل التعليم جماعة في المسجد.

وكذلك كان على هذا العمل بعض الصحابة والخلفاء، فقد روى الطبري بسنده عن ابن زيد قال: (كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صلى السبحة وفرغ دخل مربداً له [3]، فأرسل إلى فتيان قد قرؤوا القرآن؛ منهم ابن عباس وابن أخي عيينة. فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرف)[4]. وهذا يدل على مشروعية الحلقات القرآنية خارج المساجد، وأنها من هدي الصحابة.

وقد وردت إشارة عن دار القرَّاء بالمدينة، وكانت قائمة بعد بدر الكبرى -على الأقل- واسمها يدل على الاهتمام بقراءة القرآن الكريم[5].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤٢.

(٢) مسلم (٨١٢).

(٣) قال محمود شاكر في حاشية الأثر في تفسير الطبري ٤/ ٢٤٥: «السبحة: صلاة التطوع والنافلة وذكر الله، تقول: (قضيت سبحتي). والمربد: فضاء وراء البيوت يرتفق به كالحجرة في الدار، وهو أيضاً موضع التمر يجفف فيه لينشف، يسميه أهل المدينة مربداً وهو المراد هنا».

(٤) جامع البيان ٤/ ٢٤٥.

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٢٦٧.

## ■ الإقراء والعرض والحفظ والتسميع سُنة متبعة

ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن عروة بن الزبير أنه قال: (إن قراءة القرآن سنة من السنن، فاقرؤوه كما أُقرئتموه). وبسنده عن زيد بن ثابت أنه قال: (القراءة سُنة)[1].

فالسنة العملية في تعليم القرآن التلقين والمشافهة؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[2].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوِره في الصلاة، فتصبَّرت حتى سلَّم، فلَبَبْتُهُ بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال: «أرسله. اقرأ يا هشام». فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت». ثم قال: «اقرأ يا عمر».

---

(١) فضائل القرآن ص٣٦٠.

(٢) البخاري (٤٩٧٨) ومسلم (٨١٩).

فقرأت التي أقرأني. فقال: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»[1].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[2]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه)[3]. قال ابن حجر في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إيَّاه. والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلّاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع)[4].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنت بحمص فقال لي بعض القوم: اقرأْ علينا. فقرأت عليهم سورة يوسف، فقال رجل من القوم: والله ما هكذا أنزلت. قال: قلت: ويحك، والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ فقال لي: أحسنت)[5].

---

(١) البخاري (٤٩٧٩).
(٢) البخاري (٤٩٨٤).
(٣) البخاري (٤٩٨٥).
(٤) فتح الباري ٨/ ٦٥٩.
(٥) البخاري (٥٠٠١).

فإذا نظرت في واقعنا اليوم، وجدت معلمي القرآن -سواء كانوا في البيوت أو المساجد أو في الدور والمؤسسات والمراكز- إنما هم امتداد لسلسلة الخيرية التي نشأت قبل ألف وأربعمائة عام، وجوهرة في ذلك العقد المنوَّر ببركة القرآن ونوره، يقومون بفرض الكفاية نيابة عن الأمة، ويرفعون عنها الحرج في التعليم الواجب للقرآن وتحفيظه، ويتبعون سنة النبي ﷺ وصحبه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

# التربية بالمثاني

الحلقات والمؤسسات القرآنية قدمت نموذجاً رائعاً في العالم الإسلامي في تربية الأجيال، واستنقاذهم من مخالب الاستعمار الثقافي والفكري، وذلك حين أعادت القرآن إلى قائمة اهتمامات الأطفال والشباب، بنين وبنات، من خلال الحلقات والمدارس القرآنية المنتشرة طولاً وعرضاً، وهو جهد عظيم مشكور، ولأجل الارتقاء بأداء العملية التعليمية داخل هذه الحلقات والمؤسسات القرآنية سأعرض منهجية المثاني المستمدة من كتاب الله تعالى وتطبيق رسول الله ﷺ لها، هو وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

## ■ تكرار لأجل الإفهام

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزُّمَر:٢٣].

فما معنى «مثاني»؟

قال الراغب الأصفهاني: (الثِني والاثنان أصل لتصرفات هذه الكلمة، ويقال ذلك باعتبار العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه، أو باعتبارهما معاً)[1]. وقال ابن عاشور: (يطلق على معنى التكرير، كُني عن معنى التكرير بمادة التثنية لأن التثنية أول مراتب التكرير، كما كني بصيغة التثنية عن التكرير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [المُلك:٤])[2].

هذا التحليل اللغوي لكلمة «مثاني». فماذا قال أئمة التفسير في معناها؟

قال ابن عباس والسُّدي: (ثنى فيه الأمر مراراً. وقال السدي أيضاً: ثني في غير مكان). وقال ابن زيد: (مردَّد؛ ردَّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة)[3]. وقال الضحاك: (ترديد القول، ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى)[4].

ومما سبق من أقوال المفسرين يتضح أن لفظة «مثاني» تدل على التكرار، أي تكرار الأمر في أكثر من موضع، وسواء كان هذا الأمر

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٩٢.
(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٨٦.
(٣) جامع البيان ٢٣/ ٢١٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٩٣.

حُكْماً تكليفياً، أو خبراً، أو توجيهاً، بغرض الإفهام وإبلاغ الرسالة المقصودة، وهذا يقتضي أن الـ «مثاني» تعني شيئين متلازمين: التكرار، والإفهام.

لو طبقنا ذلك على العديد من الموضوعات القرآنية، لوجدنا أن غالبها يتكرر، متخذة أساليب متنوعة وطرائق مختلفة، بغرض التأكيد والإقناع والإفهام. وبهذا التكرار وذلك التنوع أثنى الله تعالى على كتابه العزيز فقال عنه «أحسن الحديث»، ومِن حُسنه وجماله وإحكام نَظْمه وإتقان سرده أن يكون «مثاني» تكرر فيه القصص والأحكام والحدود. وهذا أمر أخفقت القوانين الوضعية والدساتير والنظم الاصطلاحية في مجاراة القرآن الكريم فيه أو الاقتباس منه.

القرآن لا ينطق بالحكم مرة واحدة كنصٍّ مادةٍ في لائحة تنظيمية أو جزائية. كلا! إنه يتكرر بأشكال مختلفة: إنه في سورة ينطق بالحكم مرة، وفي سورة أخرى ينطق ثانية، وفي سورة ثالثة ينطق ثالثة، وفي سورة رابعة يضمِّن الحكم في كلام عام، وهكذا.

وسر ذلك أن القرآن حين يبيِّن حكم الله فإنه يلتفت إلى هذه الطبيعة البشرية الضعيفة والمرهفة، فيخاطب فيها الوجدان ويحرك الضمير ويتفاعل مع المشاعر، بينما تلك القوانين واللوائح تخاطب الإنسان، لا على أنه إنسان، بل على أنه جماد، أو مادة صلبة مفرغة من الروح والمشاعر. قال ابن عاشور: (وهذا يتضمن امتناناً على

الأمة بأن أغراض كتابها مكررة فيه لتكون مقاصده أرسخ في نفوسها، وليسمعها من فاته سماع أمثالها من قبل، ويتضمن أيضاً تنبيهاً على ناحية من نواحي إعجازه، وهي عدم الملل من سماعه وأنه كلما تكرر غرض من أغراضه زاده تكراره قبولاً وحلاوة في نفوس السامعين)[1].

## ■ تطبيق على الـ«مثاني»

تأمَّل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٧٥].

الحكم الشرعي الصريح هنا: تحريم أكل الربا. لكن هذا الحكم الـمُحكم جاء ضمن خطابٍ موجَّهٍ إلى الوجدان وحديث مع العقل وحديثٍ مع المشاعر، الأمر الذي يجعل المؤمن الصادق يبتعد -متحرياً في ذلك قدر الإمكان- عن أكل الربا وعن الطرق الموصلة إليه، في وقت زعموا أن الربا ضرورة اقتصادية!

والـقرآن الكريم تعرَّض لهذا الحكم في غير موضع، قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٨٧.

[البقرة:٢٧٦]. ففي هذه الآية مقارنة بين الربا والصدقات من وجه، وهي عملية ناقدة تخاطب العقل، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٧٩]. فهي أمر صريح بالترك، مصحوباً بالأمر بتقوىٰ الله، والتهديد في حال ترك الامتثال لأمر الله ونهيه بحرب الله تعالىٰ، وهذا خطاب وجداني تكاد القلوب تنفلق من هيبته، كما أوضحت الآية جواباً عن سؤال مفترض وهو: لو تُبْنا يا ربنا فكيف نفعل بأموالنا؟ فهي خطاب للنفس بإيضاح الإجراء المناسب في حال تاب العبد من الربا.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢]. فالآيات اشتملت على نهي صريح عن أكل الربا، وساندته بخطاب وجداني يتحدث عن النار، وعن رحمة الله بمن أطاعه ورسوله، ووعدت بالفلاح لمن اتقى الله.

المقصود أن كل هذا الحشد من النصوص غرضه الأخير: أن يتجنب الناس تعاطي الربا وصوره، ولكن لحاجة هذا الإنسان إلى الاقتناع من داخل عقله وضميره جاءت بهذا التنوع.

ويمكنك تطبيق ذلك على سائر الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم، كالإيمان باليوم الآخر، والتعامل مع المخطئين، على سبيل المثال لا الحصر.

قال السعدي: (لـمَّا علم الله احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار؛ فكما أن الأشجار كلما بعُد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مدة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً تحصل النتيجة منه)[1].

العلامة السعدي رحمه الله يركز هنا على الحاجة إلى المعاني، ثم هو يشير إلى أهمية تكرار هذه المعاني، لتحقيق هدف تربوي، وهذا هو مفهوم الـ «مثاني».

### ■ منهجية الـ «مثاني» تربي الضمير والوجدان

النص القرآني يربي في الإنسان الضمير والوجدان، ويضيئهما بنور الوحي ويجعلهما حاكماً على تصرفاته، ومن ثَمَّ لا يكون الإنسان بحاجة إلى الرقيب الخارجي، أو إلى تلك النظم كثيرةِ التفاصيل لكي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٥١٦.

تحدَّ من مخالفاته، هكذا يربي القرآن الكريم المؤمنين ويجعل كلَّ فرد منهم قرءاناً يمشي على الأرض.

إن من أهم النتائج التي ينبغي التنبه لها أن القرآن يسلك مسلك التكرار متنوع الأساليب ليحصل المقصود منه، وهو تربية النفس الإنسانية على ما يريده الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة:٥]. ويمكن تلخيص أغراض الـ«مثاني» بقول الضحاك السابق: «ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى».

وحين نتحدث عن التربية القرآنية في الحلقات؛ فنحن نتحدث عن ثلاثة عناصر: الطلاب، وكتاب الله، والتعليم. ولا يمكن أن تتفاعل هذه العناصر الثلاثة لتخريج قراء يفهمون مراد الله من كتابه ويعملون به إلا بوسيط يعلم الكتاب ومعانيه، ويقوم بتربية الطلاب عليه، ذلكم هو «معلم القرآن».

## ■ المُقرئ المربي

مع كون هذا القرآن نزل من عند الله، والله قادر على أن يجعل كتابه مربياً بذاته، كما قال عز وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[الرعد:٣١]، ومع كونه نزل بلغة العرب، يخاطبهم وهم في أوج فصاحتهم، ومع كونه «مثاني» من طبيعته التكرار والإفهام ومراعاة النفس الإنسانية، ومخاطبة الوجدان والضمير، مع ذلك كله إلا أن الله تبارك وتعالى جعل في الناس رجلاً منهم يقوم بمهمة تعليم القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى:٥٢]، أمَّا الآية الثالثة فهي تفيد ثلاث وظائف لهذا الذي يعلِّم الناس ما أنزل الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران:١٦٤].

الأولى: الإقراء.

الثانية: التزكية والتربية.

الثالثة: تعليم الأحكام.

قال ابن سعدي: (فكانوا [أي الصحابة] بعد هذا التعليم والتزكية من أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين وأكمل الخلق أخلاقاً، وأحسنهم هدياً وسمتاً، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين وقادة المتقين)[1].

ولو استدعينا المثال التطبيقي على الـ «مثاني» في هذا الموضع لوجدنا أن المعلم هو من يقوم بمنهجية الـ «مثاني» فيقرئ ويزكي ويعلِّم: يقرئ القرآن، ويساعد الطلاب على ضبط الأداء، ويقوم بحشد النصوص الموجهة للمفاهيم، ويستخرج من كل نصٍّ فيها ما يريده الله، ويتعلم من القرآن التنوع والتكرار في غرس المفاهيم.

إن إقراء كتاب الله تعالى وترك التربية على معانيه وأحكامه خللٌ منهجي، ومخالفةٌ لناموس القرآن «مثاني» وابتعادٌ عن منهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في تعليمهم وتعلمهم للقرآن الكريم «يتلو - يزكي - يعلم».

إن إقراء القرآن والتربية عليه، وإن كانا أمرين يختلف أحدهما عن الآخر، إلا أنه يجب الإقران والجمع بينهما، من خلال مقرئ يمارس دوراً تربوياً، ويكون الطلاب بذلك يحفظون القرآن ويتربون على توجيهاته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٨٢٧.

## ■ تفاضلٌ في الفهم والرسوخ

لا يستوي التلاميذ والمتعلمون بعد وقوع التربية عليهم في التلقي والاستجابة والتأثر والانتفاع، وهذا أمر طبيعي، كما أنهم ليسوا على مستوى واحد في الحفظ والإتقان.

وليس شرطاً من قيام عمل تربوي يستمد منهجه من القرآن والسنة أن يكون الجميع في مستوى متوقع واحد، ولقد كان الرعيل الأول كذلك، بالرغم من نزول القرآن بين ظهرانيهم، ومع أن معلمهم هو رسول الله ﷺ، فهم متفاضلون في مستويات وطبقات حسب رسوخ معاني القرآن وأحكامه في قلوبهم، فسيدهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير رجل طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء عليهم السلام، ثم سائر الخلفاء الراشدين على التوالي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه عن الخلفاء الراشدين: (هم أعلم الأمة بأمور رسول الله ﷺ وسنته وأحواله، خصوصاً الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي لم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً، بل كان يكون معه في غالب الأوقات، حتى إنه يسمر عنده بالليل في أمور المسلمين، وكذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه ﷺ كثيراً ما يقول: دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)[1]. وقال أيضاً: (أهل العلم متفقون على أن أبا بكر

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٣٤.

وعمر أعلم من سائر الصحابة، وأعظم طاعة لله ورسوله من سائرهم، وأولى بمعرفة الحق واتباعه منهم)[1]. ثم سائر العشرة المبشرين بالجنة، والبدريون وأصحاب بيعة الرضوان. هذا هو قانون التربية على القرآن.

وقد نبه القرآن الكريم على هذا الأمر؛ ففي السياق نفسه لحديث القرآن عن الـ «مثاني» يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر:٢١]. قال ابن عاشور: (إنزال الماء من السماء تشبيهٌ لإنزال القرآن لإحياء القلوب، وإسلاك الماء ينابيع في الأرض تشبيه لتبليغ القرآن للناس، وإخراج الزرع المختلف الألوان تشبيه لحال اختلاف الناس من طيِّب وغيره، ونافع وضار، وهياج الزرع تشبيه لتكاثر المؤمنين بين المشركين... وقريب من تمثيل هذه الآية ما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٢٤.

ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به»)[1].

## ■ المثاني منهاج تربوي

تعد الـ «مثاني» بما تحويه من إيضاح المفهوم وتكراره بطرق مختلفة وبما يحتاجه من معلم مقرئ مربٍّ، وبما ينتج عنه من قراء متفاوتين: منهاجاً تربويّاً، يلزم معلم القرآن الكريم في الحلقات القرآنية وغيرها من المؤسسات التي تعلِّم القرآن الكريم، ولم يكن إقراء القرآن وتحفيظه دون الإفهام والتكرار والتربية عليه أمراً متَّبَعاً عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل هو أمر طارئ وحادث، وسيمر معنا -إن شاء الله- في الحديث عن حلقات ابن مسعود وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شيء من ذلك، قال الإمام المقرئ أبو عبد الرحمن السلمي: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانو إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم العلم والعمل به. وسيرثُ بعدنا قومٌ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم)[2]. بل نصَّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذه المنهجية؛ فعن شريك عن عطاء عن

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٧٦. والحديث أخرجه البخاري (٧٩). ولا يفوتني هنا أن أشير إلىٰ قول آخر قوي في هذه الآية، وهو القول الذي يشير إلىٰ التشبيه بالبعث يوم القيامة.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ١٤٨.

أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود قال: (كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه) قيل لشريك: من العمل؟ قال: نعم[1]. والجدير بالذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ القرآن على عدة من أصحاب النبي ﷺ: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت[2].

وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له رواية توثيقية في طريقة تعليم القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ، يقول: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعَلَّمون أنتم القرآن. لقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته؛ ما يدري ما آمِره ولا زاجِره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل)[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: (وأما التفسير الثابت عن الصحابة والتابعين، فذلك إنما قبلوه لأنهم قد علِموا أن الصحابة بلَّغوا عن النبي ﷺ لفظ القرآن ومعانيَه جميعـًا، كما ثبت ذلك عنهم، مع أن هذا

---

(١) المستدرك (٢٠٤٧).
(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ١٤٧.
(٣) المستدرك (١٠١).

مما يُعلَم بالضرورة من عاداتهم، فإن الرجل لو صنف كتابَ علمٍ في طب أو حساب أو غير ذلك وحفظه تلامذته، لكان يعلم بالاضطرار أن هِمَمهم تشوَّق إلىٰ فهم كلامه ومعرفة مراده، وإنَّه بمجرد حفظ الحروف لا تكتفي به القلوب؛ فكيف بكتاب الله الذي أمر ببيانه لهم، وهو عصمتهم وهداهم وبه فرَق الله بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال والرشاد والغي، وقد أمرهم بالإيمان بما أخبر به فيه والعمل بما فيه، وهم يتلقونه شيئًا بعد شيء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[الفرقان:٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[الإسراء:١٠٦]. وهل يتوهم عاقل أنهم كانوا إنما يأخذون منه مجرَّد حروفه وهم لا يفقهون ما يتلوه عليهم ولا ما يقرؤونه، ولا تشتاق نفوسهم إلىٰ فهم هذا القول، ولا يسألونه عن ذلك، ولا يبتدئ هو بيانه لهم؟! هذا مما يعلم بطلانه أعظم مما يعلم بطلان كتمانهم مما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله)[1].

وهذه المنهجية -أعني المثاني- تقتضي الظرف الزماني الطويل في حفظ القرآن الكريم وتعلُّمه وتعليمه، لذلك نزل القرآن مرتَّلاً كما في آية الفرقان السابقة، قال السعدي: (مهلناه، ودرَّجناك فيه

(١) بغية المرتاد ص٣٣٠.

تدريجاً)[1]. وقال الشوكاني: (فإن إنزاله مفرقاً منجماً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، وذلك من أعظم أسباب التثبيت)[2].

وهذا يحيى بن وثاب التابعي الجليل، أخذ القراءة عرضاً عن علقمة ومسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهم؛ قال الذهبي عنه: (والثبت أنه قرأ القرآن كله على عبيد بن نضلة صاحب علقمة، فحفظه كله عليه، كل يوم آية فيما قيل)[3]. وإن على الحلقات والمؤسسات القرآنية اليوم أن تلتفت إلى هذا الأمر وأن تنسق جهودها مستضيئة بما كان عليه سلف الأمة، يقول د. محمد لطفي الصباغ في تحليله لرسالة ابن تيمية في أصول التفسير: (يبدأ ابن تيمية في رسالته القيِّمة في أصول التفسير بفصل يعالج موضوعاً مهماً من موضوعات هذا العلم وهو «تدبُّر القرآن وكيفية دراسته». وينبه إلى أن تدبُّر القرآن ودراسته ينبغي أن تختلف عن دراسة غيره من الكتب البشرية، ذلك لأن هذا الكتاب إنما أُنزل ليعمل به الناس وليحكم حياة المسلمين. والعمل به مفتقر إلى فهمه وتدبُّره. وذكر ابن تيمية رحمه الله أن السلف الصالح كانوا يسيرون على هذا المنهج: كانوا

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣/ ١١٩٨.
(٢) فتح القدير ٤/ ٨٥.
(٣) معرفة القراء الكبار ١/ ١٦٠.

يتدبرون القرآن ويفهمونه، مستعينين بتبيين النبي ﷺ الذي بيَّن لفظه ومعناه لهم، وأنهم كانوا يعملون به... وأورد تلك الآثار المشهورة من أن الصحابة من أمثال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبد الله بن مسعود وغيرهما كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات يتوقفون فلا يجاوزونها إلى غيرها حتى يعملوا، فتعلموا القرآن علماً وعملاً جميعاً. وهذا يفسر لنا الأخبار التي تذكر بقاء أحدهم مدة طويلة في حفظ سورة من سوره، فابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبقى ثمان سنين في حفظ سورة البقرة[1]. هذا أمر طبيعي جداً، لكن المسلمين في العصور التي تلت عصر الصحابة لم يقوموا بهذا التدبر، ولعل السبب الأهم في هذا هو أنهم تركوا منهج الصحابة في قرْن العلم بالعمل، بل أصبح من يدرُس القرآن منهم يدرسه على أنه كتاب ثقافة فيها الفقه والنحو والكلام وما إلى ذلك. وما كان الناس مستعدين لدراسة هذه العلوم ولم يُطلب من الناس كلهم ذلك. بينما نزل القرآن للعمل، ومطلوب من الناس كلهم أن يعملوا به)[2].

ومن خلال مناقشتنا لمنهجية المثاني يمكننا تلخيص طريقة الصحابة في حفظ القرآن وتعليمه في ثلاثة نقاط على التوالي:

---

(١) وروي أنه حفظها في أربع سنين، وهو الأثبت. انظر: الموطأ (١١) والطبقات ٤/ ١٥٣.

(٢) بحوث في أصول التفسير، ص ٨٣.

١. التؤدة في الحفظ والتعليم وعدم الاستعجال.

٢. يقرنون الحفظ بالفهم.

٣. يقرنون الفهم بالعمل.

وكأن العلامة القاري يستدرك على مفهوم خاطئ في تعلم القرآن وتعليمه في شرحه لحديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فيقول: (ولا يتوهم أن العمل خارج عنهما؛ لأن العلم إذا لم يكن مورثاً للعمل ليس علماً في الشريعة، إذ أجمعوا على أن من عصى الله فهو جاهل)[1].

إنها دعوة للمؤسسات القرآنية المباركة أن تتبنى منهاج المثاني في مسيرتها التعليمية، وأن تبني إشرافها التعليمي على هذا الأساس، فهذا منهاج أصيل، والعمل على إحيائه من التجديد المحمود والمطلوب.

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي ٨/ ١٧٩.

# حاجة الحلقات إلى التربية القرآنية

هذا المبحث للإجابة عن سؤال مهم: هل نحن بحاجة إلىٰ التربية القرآنية في الحلقات؟ ويمكن الإجابة عن ذلك بعدد من النقاط:

■ **التربية القرآنية منهج الرسول ﷺ**

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤]. فلم يكن النبي ﷺ مقتصراً في رسالته على تلاوة ما نزل من كتاب الله ليحفظه أصحابه الكرام، بل كان شارحاً مراده، مبيِّناً أحكامه، مربياً على توجيهاته، بوحي من الله يأمره بذلك. فهو ﷺ يجمع بين العناية بالحفظ والإقراء (يتلو) وبين تربية الناس عليه (يزكيهم) وبين تعليم أحكامه (يعلمهم). يقول أبو عبد الرحمن السلمي في الأثر السابق ذكره: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به).

ولعل ذلك هو المعلِّل لنزول القرآن الكريم مفرقاً حسب الأحداث والمواقف والوقائع، ليكون مؤثراً على قلوب من يتلقونه ويسمعونه ويحفظونه، ويقع منها موقعاً عميقاً، يغيِّر من سلوكهم ويهذب نفوسهم، تنزل الآية من كتاب الله فيحفظونها، ويعرفون معناها، ويتأدبون بتوجيهاتها. وهذا المنهج الذي يجمع بين التعليم والتزكية والتلاوة، لهو المنهج المؤثر وهو المنهج الذي ارتضاه الله لرسوله ﷺ.

■ **يتلونه حق تلاوته**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[البقرة:١٢١]. قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئاً على غير تأويله). وعن مجاهد قال: (يتبعونه حق اتباعه)[1].

بهذه الآية يتبين أن المدح والرفعة لمن فعل ذلك ثم اتبع أحكامه وعمل بما فيه، وهذا هو حق التلاوة، وهذا يقتضي أن تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً دون تعليمه أحكاماً وآداباً ضعف في المهمة التعليمية، ولا يكون تعليم القرآن في الذروة من الفضل والأجر والتأثير

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٠٧.

إلا إذا أُتبع إقراء القرآن فيه بتعليم العمل به، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران»[1].

فإذا كان هذا فضل أهل القرآن العاملين؛ فكيف بفضل معلميهم الذين يربُّون الطلبة على العمل بما فيه! وكيف بفضل معلمي القرآن الذين خرَّجوا طلاباً يتلون كتاب الله حق تلاوته! وإننا بحاجة في هذا الزمان إلى حلقات تخرِّج طلاباً يتلون القرآن حق تلاوته، يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويتأدبون بأدبه وهديه، ولا يكون ذلك إلا بالتربية القرآنية التي يمارسها معلم القرآن.

### ■ ذم الاقتصار على الحفظ دون الفهم والعمل

جاءت الشريعة بذم حافظ القرآن المضيع لأحكامه والمفرِّط في العمل به والمنتهك لحدوده، ففي سياق امتنان الله على هذه الأمة بأن بعث فيها الرسول ﷺ معلماً ومزكياً ومفهِّماً، نبَّه القرآن على أن من صفات اليهود: المعرفة دون العمل، محذراً من سلوك سبيلهم، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥]. وهنا يقول القرطبي: (في هذا تنبيه من الله تعالى لمن

---

(١) مسلم (٨٠٥).

حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعمل بما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء)[1]. وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في الرؤيا التي رآها، قال: «أما الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن المكتوبة»[2]. وفي رواية «والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار»[3].

ونعى الله تعالى الذين لا يتدبرون القرآن فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]، ونعى الله تعالى قوماً آخرين فقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨]. قيل في تفسيرها: إلا تلاوة[4]. فلم يعلموا ما فيه، ولم يعملوا بما فيه، وقال الفضيل: (إنما نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً)[5].

وقال الحسن البصري رحمه الله: (إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٦٢.
(٢) البخاري (٧٠٤٧).
(٣) البخاري (١٣٨٦).
(٤) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٥.
(٥) أخلاق حملة القرآن، ص ٩٩.

خُلُق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس! والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثَّر الله في الناس أمثالهم)[1].

فلهذا كان لزاماً على معلم القرآن أن يشفع تعليم حروفه بتعليم حدوده، وإلا فسيخرِّج طلاباً يقرؤون القرآن ولا يعملون به، يلحقهم الذم وينالهم الإثم فيما بعد.

### ■ الجاهزية التربوية في الحلقات

يعدُّ المحضنُ التربويُّ أحدَ الركائز الأساسية في العمل التربوي، حيث الوسط الذي يتفاعل فيه الطالب مع أقرانه ونظرائه، ويتلقى فيه المفاهيم التربوية، وتُعالَج فيه أخطاؤه وتُصحَّح فيه انحرافاته، وهو البيئة التي يتمكن المربي فيها من غرس القيم والمفاهيم، ويتعاهد سقيها ورعايتها، وينقح فيها هذه المفاهيم والقيم مما يشوبها، وهو المكان الذي يلبي الطالب فيه الكثير من احتياجاته الشخصية: الوجدانية والجسدية والعقلية والاجتماعية والثقافية، فيبدع ويبتكر، ويشارك ويقود.

ولو قمت بمقارنة بين المحاضن التربوية من جهة أثرها على العملية التربوية لوجدت أن الحلقات القرآنية من أقواها تأثيراً، إن

---

(١) أخلاق حملة القرآن ص١٠٠.

لم تكن هي الأقوى، لما في هذه الحلقات من الجاهزية التربوية التي تعين المعلم على أداء دوره التربوي بكفاءة وفاعلية.

وتتمثل الجاهزية التربوية في الحلقات في عدة جوانب؛ منها: تأثير البيئة (المسجد) بيت الله، المكان المقدَّس والمبارك، حيث ضيافة الرحمن؛ فعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق»[1].

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ وجاء إلى المسجد فهو زائر الله عز وجل، وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما توطَّن رجل المساجد إلا تبشبش الله تعالى إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[4].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٥).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٢).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٧).
(٤) مسلم (٢٦٩٩).

هذه الآثار في فضل المسجد والجلوس وفيه -وغيرها كثير- تدل في مجموعها على الأثر الجميل على الطالب في الحلقة، حيث الأمان النفسي والهناء الداخلي والسعادة القلبية والسرور والبهجة، ببركة المكث في المساجد والجلوس بين يدي أهل القرآن، حيث تتعاقب الكفوف على حمل المصاحف، وتتهدج الأصوات بتلاوة كتاب الله. تلك المعاني الدافئة والعميقة التي يجدها الطالب في بيت الله وهو متطهر يقرأ كلام الله، تجعل منه قلباً مفتوحاً للتوجيه التربوي المصاحب لتلاوة آيات القرآن الكريم.

إن الطالب حين تملؤه المخاوف ويكتنفه الاضطراب لا يستطيع استيعاب التوجيهات كما ينبغي، ولا التطلُّع للسير نحو الكمال، لهذا كان المسجد -وهو يحتضن الحلقة القرآنية- مصدر طمأنينة، وفرصة لأهل التربية ليرتقوا بتلاميذهم إلى الكمال البشري فيعلمونهم مراد الله من كتابه، ويؤدبونهم بآدابه.

وأصحاب النبي ﷺ والتابعون وأئمة العلم والسُّنة والفاتحون والمعلمون، كل هؤلاء تخرجوا في المساجد، وتلقَّوا فيها القرآن وتربَّوا عليه، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما أصلَح أولها.

ومن جوانب الجاهزية التربوية في الحلقات القرآنية: الاختيار. يغلب على تلاميذ الحلقات القرآنية أنهم التحقوا بها رغبة واختياراً دون ضغط أو إكراه، ودون عقوبة أو حرمان، فهناك دوافع متعددة

تجذب التلميذ إلى الحلقة، يشملها إطار «الاحتياجات النفسية» في الغالب، وبذلك يكون التلميذ قد أعطى زمام قلبه لمعلمه، ليقودَه إلى روح القرآن.

## ■ المنهج المؤثر

المنهج المتوافر في حلقات تعليم القرآن الكريم منهج مؤثر متفرد، متفرد في الأهداف والمحتوى والوسيلة.

الأهداف التي يسعى إليها معلمو ومشرفو الحلقات أهدافٌ نبيلة وغايات سامية، وأهم أهداف تعليم كتاب الله تعالى أن يكون الإنسان متوجهاً بقلبه وبجوارحه إلى الله في كل حركاته وسكناته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]. وهذا هدف عام وغاية عظمى يمكن أن يبلغوا منه حظاً وافراً، إذا صنعوا أهدافاً واتبعوا السبيل نحوها، ويمكن أن تشمل هذه الأهداف: تعظيم الشعائر التعبدية والورع عمَّا يكرهه الله ويسخطه، والتحلي بالأخلاق الحسنة والآداب العملية، وغيرها من الأهداف التي تحقق معنى العبودية لله.

والمحتوى الأساس في الحلقات: كتاب الله، وهو الكتاب المحكم المفصَّل، الذي لا يأتيه الباطل، والمعصوم، لا أقول معصوم من النقص فحسب، بل معصوم من شوائب الكمال والجمال والجلال.

والتربية على منهجٍ يستمد أصوله وفروعه من القرآن منهجٌ أقرب إلى الصواب، يقي التلميذ من كل عقيدة فاسدة أو فكرة هدامة أو سلوك منحرف، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢].

إنها فرصة المربين في الحلقات؛ أن يستقوا من هذا المعين لينشئوا الأجيال الصاعدة على فهم كتاب الله تعالى والعمل بأحكامه والتأدُّب بآدابه، وهم آمنون من زلل المنهج واضطراب الفكر.

والوسيلة المتَّبعة هي تعليم القرآن تلقيناً وتسميعاً وتوجيهاً، كل حرف له به حسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وقد ثبت في الدراسات والأبحاث المتعددة أن ملازمي القرآن هم الأوفر تحصيلاً والأكثر ذكاء والأقوى في مهارات التفكير، وهذا سيكون له الأثر الكبير في غرس المفاهيم والقيم والتربية عليهما[1].

## ■ الآثار السلبية لفقد التربية القرآنية

في أي بناء، هناك عناصر تصل به إلىٰ الجودة، وهناك عناصر تصل به إلىٰ ما فوق الجودة: الإبداع. وبفقد شيء من عناصر الجودة

(١) انظر -علىٰ سبيل المثال- دراستين محكمتين، أولاهما: الدور التربوي لمعلمي الحلقات القرآنية في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بجدة، د. سالم البطاطي. وثانيتهما: أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم علىٰ التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، د. عماد العبد اللطيف.

يصبح البناء مشوَّهـًا فيه ضعف ونتوءات، وهكذا الجانب التربوي؛ فهو عنصر جودة للحلقة القرآنية، وبفقده تفقد الحلقة جانبـًا رئيسيّـًا من عناصرها، وعندما تفقد الحلقة أجزاء من بنائها -لا سيما التربوي- فإن عدداً من المفاسد والأمور السلبية سَتَنتُج جراء ذلك، منها:

- بناء منهجية غير جيدة لحفظ القرآن، إذ يكتفي التلميذ بحفظ سور القرآن دون التربية علىٰ العمل بما فيها، وهنا ستنشأ أجيال تعتقد بأن طريق القرآن هكذا، وأن حفظه أولىٰ من تدبُّره والعمل به، وهذا أحد مسببات اختلال التوازن في بناء الفرد المسلم القارئ للقرآن اليوم.
- تنشأ صـورة ذهنية لدىٰ التلميذ؛ وهي أن القرآن الكريم لا يمكن العمل به أو الرجوع إليه في شؤون الحياة، أو علىٰ الأقل أن ذلك غير مطلوب من المسلم، إذ تمرُّ كثير من الآيات التي تأمر وتنهىٰ دون أن يكون لذلك أثر علىٰ حياته الخاصة، ودون أن يكون للمعلم تنزيل للآيات علىٰ واقع حياته، وهذه الصورة الذهنية تتسع يومـًا بعد يوم، كما أشير إلىٰ ذلك سابقـًا. وهذا منهج خفي غير مقصود، وهو الأخطر في تشكيل المفاهيم وتكوينها -علىٰ المدىٰ البعيد- إذ يضعف اليقين بما أنزل الله لدىٰ الأجيال الناشئة.

ومن واقع الخبرة في الإشراف علىٰ الحلقات -ويدعم ذلك الدراسات الميدانية-: هناك فرق كبير وواضح بين التلاميذ الذين تلقَّوا تربية في حلقاتهم، والتلاميذ الذين لم يتلقَّوا تربية بالقدر الكافي في حلقاتهم، من حيث الأدبُ والسمتُ والاستقامةُ علىٰ منهج القرآن والمبادرة إلىٰ الطاعات، بل ثمة فرق أيضـًا بينهم في الإبداع والحفظ وحسن الأداء، وغير ذلك.

إنه القرآن الكريم حين تصوغ آياتُه النفسَ البشرية، فإنها تصهرها وتزكِّيها، ولا تحتاج إلىٰ شيء سوىٰ معلم ماهر ومؤدِّب بارع، يقوم بصهر التبر ليصنع منه سبائك ذهب تبهج الناظرين، وقد شهد المجتمع بهذا التباين، وشهدت المدارس بوجوده، وأصبح شيئـًا ظاهراً.

### ■ زمن الصوارف والفتن

إذا كان السلف الصالح حرصوا أشد الحرص على المنهجية المتكاملة في تعليم القرآن، التي تجمع بين الحفظ والفهم والعمل، لِـما لها من أثر، ولِـما في التفريط فيها من خطورة، فإننا في هذا الوقت أشد حاجة، بل الحاجة ملحَّة، فقد كثرت وتنوعت قنوات التواصل مع التلميذ، وكثيرها غير منضبط، واتسعت رقعة التوجيه السلبي، فأصبح لزاماً على كل المحاضن الشبابية أن تقدم دوراً تربوياً وجهداً قِيميًّا، تحفظ في النشء مفاهيم الإسلام وتربيهم عليها.

ثم إن هذا النشء أحوج ما يكون إلى أن يتلقى توجيهاً سلفياً على منهاج النبوة، يتحرزون به من الفكر الغالي، ويتحصنون به من الأفكار الهدامة والمذاهب الإباحية.

ضخٌّ هائل على مدار الساعة، مليء بالشُّبه والأفكار الدخيلة والثقافات الأجنبية؛ يراد منه صياغة جيل لا يحمل من الإسلام إلا اسمه ولا يعرف من القرآن إلا رسمه، يزيح الدين عن شؤون الحياة ويقترف الآثام. وعلى معلمي الحلقات -كغيرهم- أن يكونوا سدّاً منيعاً ضد هذا الوافد، وجبهة مقاومة وممانعة ضد هذا الدخيل.

والتربية القرآنية في الحلقات لها أثرها في حماية المجتمع من الجنوح والجريمة، وبهذا يتحقق القول: «افتح حلقة قرآنية تغلق سجناً». ولو تتبعنا السيرة الذاتية للجانحين والمجرمين في دور الرعاية الاجتماعية والسجون فسوف نجد أن الملتحقين بالحلقات القرآنية لا وجود لهم غالباً ضمن قائمتهم[1].

وفي دراسة ميدانية حول أثر حلقات القرآن الكريم في تقويم سلوك السجناء في السعودية، أعدها الباحث: سليمان العقيل ١٤٢٢هـ، خرج الباحث بعدة نتائج، منها:

---

(١) أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي ص١٣.

- ٨٢٪ من المنتمين للحلقات وجدوا أن الحلقات غيرت مواقفهم من أشياء معيَّنة وأعادت تصحيح مسار حياتهم.
- ٩١,٦٪ من المنتمين للحلقات واظبوا على قراءة القرآن واستغلال وقت الفراغ، بل إن ٨٩,٢٪ يرغبون حفظ القرآن كاملاً[1].

والتربية علىٰ هدي القرآن في الحلقات القرآنية لها أثرها في حماية المجتمع من العدو الأجنبي، إذ تنص توجيهات القرآن علىٰ ضرورة الاجتماع وعدم التفرق وتوفر منهجاً سليماً في التعامل مع الأعداء، يتفق الجميع عليه، ومن ثَمَّ سيكون هذا المجتمع الذي تربىٰ علىٰ هدي القرآن وتعاليمه صفّاً واحداً لا يستطيع العدو اختراقه، لا فكريّاً ولا عسكريّاً.

## ■ المرحلة العمرية مرحلة تعلُّم وتلقٍّ

الأغلبية العظمىٰ من التلاميذ الذين التحقوا بالحلقات القرآنية هم في مرحلة تعلُّم وتلقٍّ، وفي مرحلة تكوين الشخصية وبنائها: النشء والشباب . هذا باب خير ومفتاح خير وفرصة ثمينة، إذ التربية علىٰ كتاب الله في هذه المرحلة أسهل وأعمق من التربية في غيرها من المراحل العمرية.

---

(١) انظر: علاقة التحاق الطالب بحلقة تحفيظ القرآن الكريم ببعض المتغيرات التربوية، ص٨٢.

وإذا كانت المؤسسات الرسمية في الدول تعتني بتطوير تعليمها لهذه المرحلة، وتصرف لأجل ذلك كثيراً من المال، وتتيح لتحقيق أهدافها كثيراً من الموارد؛ فإن القائمين علىٰ المؤسسات القرآنية هم أَوْلىٰ بهذا التطوير والتجويد، لأن بين أيديهم أعظم منهج وأفضل منهج، وإذا أوجدنا المنهج الجيد، وقدَّمناه للتلاميذ المتهيئين، فإن الأمل كبير بأن تكون مخرجاتنا جواهر آدمية، جديرة بأن تكون قرآنـًا يمشي علىٰ الأرض.

## ■ الأثر الإيجابي النفسي والاجتماعي

التربية على هدي القرآن تساهم في وحدة المجتمع؛ (فالتربية على الأخلاق الإسلامية والآداب القرآنية في بيئات الحلقات القرآنية تقوي انتماء الفرد لمجتمعه وتحقق له الأمن والأمان والطمأنينة النفسية في الحلقات القرآنية، حيث يتعلم الأخوَّة والإيثار والعدل والأمانة وغير ذلك من القيم الإسلامية التي يشعر معها بالأمان، وهذا يجعله يعمم هذا الشعور الإيجابي لدى الناس، فيحب لهم ما يحب لنفسه، ومن ثَمَّ يتعاون معهم، ويكون عطوفاً على الآخرين.

إن التربية في الحلقات القرآنية تقوي التواصل بين طلابها وبين المجتمع؛ لأن تعاليم القرآن تؤكد التواصل بين الناس وتوثيق الروابط بينهم وإشاعة المودة والحب والتعاون، وإبعاد عوامل

الشقاق والتقاطع والتدابر، وهذا ما يحتاجه المجتمع البشري في كل زمان ومكان، وتزداد الحاجة إليه في واقعنا المعاصر الذي سادت فيه قيم الحضارة الغربية وطغيان المادة في حياة الناس، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣])[1].

والتربية القرآنية تنمي الطاقات الإيجابية، حيث التوجيهات الربانية التي حثت على عمارة الأرض واستثمار الطاقات بما ينفع عند الله في الدارين. وانظر إلى التغير الهائل الذي أحدثه القرآن في نفوس تلك الثلة المؤمنة التي صحبت النبي ﷺ فتحولت من عُبَّاد للأصنام مختلِّي التفكير محبَطي الهمم إلى قادة للأمم تصنع الممالك والأمصار، وتنشر العدل وتبعث الحياة في الناس. ربع قرن من الزمان، هو الوقت الذي استغرقته التربية القرآنية لصناعة حضارة تهتم بالإنسان وتصنعه وترفعه.

إن التوجيهات القرآنية -إذا تلقَّاها التلميذ عبر منهج تربوي مقصود- تبعث الطاقات المتنوعة التي أوجدها الله في كل إنسان بما يناسبه، وكلٌّ ميسَّر لما خُلق له، إذ حثَّت على العمل الصالح بمعناه

(١) أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي ص١٤.

العام، وحثت على فعل الخير بمعناه الشامل، فتُبنى شخصية التلميذ على العمل والمبادرة والمثابرة واستثمار الوقت، مما سيؤثر على مستوى النهوض بالأفراد والأمة.

إن التوجيهات القرآنية -إذا تلقَّاها التلميذ عبر منهج تربوي مقصود- تفتح عقل التلميذ وتنمِّي فيه كلَّ أساليب التفكير الإيجابي وأنماطه، وتكسبه منهجية علمية سليمة، فهو ناقد ومبدع ومحلل، وتنمِّي فيه مهارة الاستذكار والحفظ، فهو حافظ متقن.

# التربية القرآنية في العهد المكي

تالله! إن للحديث عن العهد المكي رهبةً في القلب، وخشوعاً في النفس! فلله أعبُدٌ وإماءٌ وَضَحَتْهم شمس مكة، وأنهكَ أجسادَهم العذابُ في سبيل الله! وَفِداً لذلك الصوت الجهوري المنبعث من تحت دروع الحديد وقد صهرها وهج الصيف: «أحد أحد». وسحقاً ولعنة لذلك الشقي حين أنفذ الحربة في جسدك الطاهر لأنكِ آمنتِ بالله يا (سميَّة).

## ■ جبالٌ من المتربين

مؤمنٌ مكيٌّ ثالث: سعد بن أبي وقاص الزُّهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلم في أيام الإسلام الأولى، وهو شاب في السابع عشرة من عمره[1] يقول: (مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام)[2]. وكان على رأس فريق من المسلمين يتخفَّون في شعاب مكة لإقامة الصلاة، وفيه وفي غيره نزل قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٩٦.
(٢) البخاري (٣٧٢٧).

مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[الأنفال:٢٦]، وعندما اصطدموا بالمشركين كان أول دم أهريق في سبيل الله على يديه، وحين أشار النبي ﷺ على أصحابه -الذين لم يستطع أن يمنعهم من أذى قريش- بالهجرة الأولى إلى الحبشة؛ بقي سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحبة النبي ﷺ بمكة، ولم يهاجر، متحملاً في سبيل الله ما يلقاه من الأذى، وقد اجتهدَتْ أمه في ردِّه عن الإسلام بطريقة قاسية، لكنه استعصى على ذلك، مع برِّه بها، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[العنكبوت:٨].

هاجر سعد مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشهد المشاهد كلَّها معه، ومنها بدر والحديبية، وبلاؤه في أحد لا يخفى، وكان من فرسان المسلمين، ومن حراس النبي ﷺ، وحين أصابه مرض استأذن النبي ﷺ أن يوصي بماله كلِّه، فأشار عليه النبي ﷺ بالثلث فقط، ومات النبي ﷺ وقد شهد له بالجنة.

ومع كل ذلك فهو من حفاظ القرآن الكريم[1].

وفي دولة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سعد صاحب الرأي والمشورة، وأمَّره عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جيش المسلمين

(١) فتح الباري ٨/ ٦٦٨.

في معركة القادسية، فكسر الفرس، وفتح المدائن، وأمَّره على العراق، فعمر الكوفة. ثم اتهمه بعض أهلها زوراً وجهلاً بأنه لا يحسن الصلاة! وهل مثل سعد يجهل الصلاة! فرجع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى المدينة، وجعله عمر من أصحاب الشورى الستة، وأمر بأن يستعين الخليفة من بعده به. ثم أمَّره عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على الكوفة مرة أخرى.

وحين وقعت الفتنة اعتزلها هذا الأمير العملاق، وسكن حمراء الأسد وبقي فيها، وأثنى على موقفه ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ثم مات سنة خمس وخمسين محسناً ظنه بالله؛ وقد قال لابنه وهو على فراش الموت: (لا تبكِ؛ فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة)[1].

تأمل -أيها القارئ الكريم- الخط الزمني لحياة هذا الصحابي المكي، فرغم التحولات الحادة في حياته إلا أن جذوة الإيمان مستمرة الوهج، لا تخبو ولا تنطفئ في أي مرحلة منها، فتجده في عنفوان شبابه متخفياً في شعاب مكة صافاً قدميه يصلي لله، ثم هو صابر صامد أمام موقف والدته منه، ثم هو جندي في جيش المسلمين كأحسن ما ترى في الجندية إخلاصاً وثباتاً وانضباطاً وإقداماً، ثم هو ذلك الرجل المتواضع الذي لم تغره فتنة المال، فهو ينفقه في سبيل

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٢.

الله، ثم هو صاحب الرأي في دولة الإسلام، ثم هو القائد العسكري في المعارك، ثم هو الأمير المدني وباني الأمصار، ثم هو يترك الإمارة لشغب بعض الرعية عليه، ثم هو الأمير مرة أخرى، ثم هو صاحب الغنم في الشعاب بعيداً عن الفتنة متورعاً عن الدماء، ثم يقضي بقية حياته عابداً متنسكاً بعيداً عن بوارق الفتن.

لقد كان الإيمان في قلب سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلاً له في كل أحواله، وثباته عليه كان سمة له في كل ظروف حياته، لا الأذى صدَّه عن دين الله، ولا فتنة الجاه والمال والأضواء خطفته عن مستلزمات إيمانه، ولم تكن البيئات المختلفة التي عمل بها مؤثرة على مستوى إيمانه. لقد عاش سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو متمسك راسخ الإيمان: في حين استضعاف المسلمين، وفي حين قوَّتهم، وفي حين دولتهم، وفي حين فتنتهم.

لم يكن هذا الأمر مقصوراً على شخص سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنما هو شيء مشترك في أصحاب النبي ﷺ الذين رباهم في مكة، حتى لقوا الله تعالى. وإن هذا الأمر ليستدعي التأمل والنظر؛ إذا اعتبرنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد مخرجات التربية القرآنية في العهد المكي.

## ■ ركائز تربوية مكية

وفي هذه الأسطر -بإذن الله- سنسلط الضوء على ركائز التربية المكية التي أخرجت للناس سعداً والثلة المباركة معه؛ والتي على أكتافها نهض هذا الدين واستوى على سوقه:

### - التربية علىٰ توجه القلب إلىٰ الله

كانت قريش تزعم أنها وريثة دين إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت تفاخر العرب بذلك، وساعدها على هذا الفخر تقوقعها حول الكعبة بمكة، ثم إنها أضافت إلى ذلك تشريعها لبعض الأنساك والشعائر، لكنها في حقيقة الأمر تخلَّت عن جوهر دين إبراهيم، أي الحنيفية السمحة، ثم أشركت بالله الشرك الأكبر، وكفرت بنعمة الله وباليوم الآخر كله، وتوجهت إلى الأصنام والأوثان والكهان والآباء، فحكمت بغير ما أنزل الله، وأحلت ما حرم الله وحرمت ما أحل الله، واعتقدت النفع في غير الله، وابتغت الرزق عند غير الله، واعتقدت أن البشر يملكون لبعضهم الحياة والموت. عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فكان مما قال في خطبته عن الله عز وجل: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل

الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

فجاء القرآن ليوحِّد توجهات القلب فتصبح توجهاً واحداً لله: في عباداتك، ومعاملاتك، وأخلاقك، وسائر شؤون حياتك. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٤٩-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام:٥٩-٦٦].

حتى في دقائق المواقف وخلجات المشاعر كان القرآن الكريم يتعرض للتجرد، فحين أثنى الله عز وجل على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إنفاقه المال على مصالح المسلمين لفت الانتباه إلى نيَّة هذا الرجل الصالح، فقال سبحانه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل:١٩-٢١]. عن قتادة قال: (نزلت في أبي بكر؛ أعتقَ ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم بلال وعامر بن فهيرة)[1].كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعتق على الإسلام

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٢٨.

بمكة، وكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني! أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جُلداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك. قال: (أي أبتِ! إنما أريد ما عند الله)[1].

إنها تربية علىٰ التجرُّد والخروج من عبودية الـذات وتطلُّب حظوظ النفس. فإنك قد تتخلص من كثير من المعبودات والأوثان والأصنام، أما التخلص من عبودية الذات فهي الخطوة الأصعب في توحيد الله والإخلاص له، وما الرياء وحب الشهرة والترؤس واتباع الهوىٰ إلا بعض مظاهر لعبودية الذات.

لقد خرج أصحاب النبي ﷺ الذين تربَّوا علىٰ كتاب الله تعالىٰ من ذواتهم، فقدموا للإسلام كل ما يمكن تقديمه، وبإطلالة علىٰ سيرة أي واحد فيهم؛ توقن أن هذه الثلة لم تكن تنظر إلا إلىٰ الآخرة، ولم تكن تترقب شيئاً غير رضىٰ الله سبحانه.

- **التربية علىٰ تذكر اليوم الآخر**

عن يوسف بن ماهك، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (إنما نزل أولَّ ما نزل منه سورة من المفصَّل، فيها ذكرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا:

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٥٦.

لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[القمر:٤٦]. وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده)[1].

قال ابن حجر: (قولها: «حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام» أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها» وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف)[2].

لقد كانت سور القرآن الكريم المكية تتنزل حافلة بتصوير اليوم الآخر وأهواله وحسابه وجزائه، ولقد كان النبي ﷺ يلفت انتباه أصحابه -على الدوام- إلى ما أعده الله في الآخرة لهم وما أعده لغيرهم، وإلى أن دار الدنيا ما هي إلا المرحلة الأولى من حياة الإنسان؛ ستعقبها حياة البرزخ، ثم المرحلة الأخيرة الآخرة، فإمَّا جنة أو نار، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ

(١) البخاري (٤٩٩٣).
(٢) فتح الباري ٨/ ٦٥٦.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[العاديات:٩-١١]، ويلفت انتباههم إلى أن الحياة الآخرة تتم صياغتها في الدنيا من خلال الإيمان والعمل والسلوك اليومي، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة١-:٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[القارعة:١-١١]، وهو ما جعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحاسبون أنفسهم ويدققون في أعمالهم وماجريات حياتهم.

إنَّ الإيمان العام باليوم الآخر في إجماله يُعدُّ مطلباً عامّاً للدخول في دائرة الإيمان الواسعة، لكن الإيمان بحقائق اليوم الآخر ودقائقه ومواقفه كان مطلباً في التربية القرآنية في العهد المكي، وكانت السور المكية تتنزل بهذه الحقائق والدقائق لتجرد القلوب من التوجه إلى غير الله.

وحين كانت قريش تتسلط على المستضعفين من الذين آمنوا، في سنوات الدعوة الأولى؛ ينزل قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[الجاثية:١٤]، إذ يأمر الله سبحانه المسلمين بمكة أن يتجاوزوا عن إساءات المشركين لهم؛ على وعد بقصاص عادل في الآخرة. كانت التربية القرآنية تذكرهم بأن هذه الآلام وتلك العذابات ستزول قريباً بمجرد أن ينتقلوا إلى الدار الآخرة: «صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة». فقد كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة[1]. إن الحياة لا تنتهي عند شهادة الحاضر القريب، المملوء بالمعاناة والمأساة، فهناك في الآخرة سيشهد أولئك المستضعفون النصر والفرج والتنكيل بالطغاة الذين لا يريدون سوى الصد عن هذا الإيمان حين امتلأت به قلوب المستضعفين، قال تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾[المسد:٣-٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[المزَّمل:١١-١٤].

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٥٦.

إنَّ من يؤمن بأنَّ بعد الموت حياة أخرى سيعمل لها ولا شك، أما إذا استقر الإيمان بالآخرة في قلب المؤمن فإنه لن ينظر إلى الدنيا بكل ما فيها من نعيم ومتاع وأموال ومساكن وشهوات ولذائذ، وبكل ما فيها من معاناة ومأساة وعذابات وتجويع واستضعاف؛ لن ينظر إليها إلا بعين الاحتقار، ولن تنصب اهتماماته وطموحاته وحساباته على شيء سوى الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، وحين يكون الإيمان باليوم الآخر حاضراً في قلب المؤمن فإن سلوكه سيستقيم طلباً لرضا الله وجنته، إذ يرى المؤمن أن حياته الدنيا هي الفرصة الوحيدة لنيل ما أعده الله في الجنة، وأنَّ كل سلوك يصدر عنه سيحاسب عليه في اليوم الآخر.

كان ربط السلوك والمواقف باليوم الآخر سمة غالبة في القرآن المكي، تأمل معي حديث القرآن عن التطفيف في الكيل والميزان، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المطفِّفين:١-٦]. ماجريات يومية صغيرة، يجعلها القرآن مقدمة للحديث عن اليوم الآخر، لتكون ضابطة لسلوكهم محفزة لهم على مزيد من العمل الصالح والثبات عليه، ولتكون حاضرة في أذهانهم حين يصبحون وحين يمسون.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن معه من التابعين: (لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا خيراً منكم؛ كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة)[1]. وظهر الفرق الكبير فيما بعد -في السلوك- بين أولئك الذين أُشربوا الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم وبين أناس آمنت ألسنتهم لا غير، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة:٤٤-٤٥].

هناك العديد من المفاهيم الإيمانية ستترسخ بشكل تلقائي إذا نجحنا في التربية على الإيمان باليوم الآخر كما يريده القرآن الكريم؛ كالخوف من الله والرقابة الذاتية ومحاسبة النفس والإحسان إلى الخلق والتزود من النوافل والمبادرة إلى الطاعات... إلى غيرها من المفاهيم. قال ابن القيم رحمه الله: (قالوا: وإذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه والهرب من هذه فترت عزائمه، وضعفت همته، ووهَى باعثه، وكلما كان أشد طلباً للجنة، وعملاً لها كان الباعث له أقوى، والهمة أشد، والسعي أتم، وهذا أمر معلوم بالذوق)[2].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٣٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٧٩.

- **التربية على الالتزام بالصلاة وتعظيم قدرها**

منذ الدقائق الأولى التي يدخل فيها المسلم في دين الله يأمره النبي ﷺ بالصلاة ركعتين قبل غروب الشمس وركعتين قبل طلوعها، ثم فرضت الصلوات الخمس في حادثة الإسراء والمعراج. الصلاة من أول ما فرض الله على المسلمين بمكة، قال الواقدي: (كان أول شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان: الصلاة)[1].

ونالت الصلاة مزيد عناية إلهية، إذ قام جبريل بتعليم النبي ﷺ الوضوء والصلاة، وكانت تعد العمل الأكثر دلالة على صلة الإنسان بربه وحبِّه إيَّاه وخوفه منه وتعلق قلبه به، وكان النبي ﷺ -في أول الأمر- إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا[2]. قال ابن إسحاق: (وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٥٧٧.
(٢) السيرة النبوية ١/ ٢٨٣.

حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير، فشجه، فكان أول دم أهريق في الإسلام)[1].

ويتملكك العجب حين تتخيل أولئك الثلة المؤمنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد حضرتهم الصلاة، وهم في خوف واستسرار، فيتسللون إلى الشعاب والأودية عبر مجموعات صغيرة، يتلفتون يمنة ويسرة، فيقوم أحدهم يرقب الأوضاع من مسافة؛ ليصف الباقون أقدامهم لله تعالى، خاشعين ذاكرين، ثم يصلي هو نوبته! إنها مشاهد يخفق لها القلب وترتجف لها الجوارح إجلالاً ومهابة. قال سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (استخفينا بالإسلام سنة، ما نصلي إلا في بيت مغلق أو شِعْب خالٍ، ينظر بعضنا لبعض). وفي رواية للبلاذري أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فصلوا، فرادى ومثنى، فبينما رجلان من المسلمين يصليان في إحدى شعاب مكة إذ هجم عليهم رجلان من المشركين كانا فاحشين فناقشوهما ورموهما بالحجارة ساعة، حتى خرجا فانصرفا[2]. فلما اتخذ النبي ﷺ دار الأرقم مقراً لدعوته، أصبحت الصلاة أحد الأعمال المقامة فيها.

هذا الجهد والترقب والتخوف والتسلل والتحري؛ كله لأجل إقامة الصلاة التي كتبها الله عليهم فرضاً لازماً. إنها التربية

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٠٠.

(٢) دراسة في السيرة ص٦٣.

على الشعيرة الأساس التي تربط الأرض بالسماء، والعبد بسيده، والمخلوق بخالقه، فيستمد منها الأمن والقوة والاستقرار والهداية والثبات والتوفيق، ويستمد منها الحياة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون:١-٢].

في الوقت الذي وصلت فيه قريش إلى مستوى سيئ من التنكر لدين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فساءت قيمها وأخلاقها وتصوراتها، في ذات الوقت كانت تلك الثلة تنخلع من الأرض لترتبط بالسماء فتبني تصوراتها وإيمانها وقيمها وأخلاقها. لقد كانت تلك الصلاة تصنع منهم ذواتاً أخرى وشخوصاً غير تلك التي كانت قريش تعرفها وتألفها. كانت تلك الصلاة تبني قيمهم وإيمانهم وتُشربهم الفضائل والمعالي، قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

وحين واجهت المسلمين موجة قوية تريد صدَّهم عن هذا الدين الجديد الذي غيرهم؛ كانت إقامة الصلاة هي ذلك السد المنيع من الانجراف في هذه الموجة: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق:١٩].

وحين كان المسلمون مأمورين بالعفو عن أذى قريش وعدم الاصطدام بهم أو الانتقام منهم، قال تعالى: ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[النساء:٧٧]، فكانت إقامة الصلاة تسهم بشكل كبير في تخفيف تلك المعاناة والضيم، من خلال ترشيد انفعالات المسلمين

وتسكين نفوسهم وتهدئة ثائرتهم. لقد كانت إقامة الصلاة -ولا تزال- تخفف من الضغوطات وتعيد النفس إلى خطها الانفعالي المعتاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[المعارج:١٩-٢٢]، ذلك أن الاستقرار النفسي له تأثيره الإيجابي في رفع مستوى التديُّن والارتقاء في سلم الإيمان؛ الأمر الذي كانت الصلاة تصنعه في نفوس أهلها.

إن طلاباً يحافظون على الصلاة على وجهها الصحيح ويعظِّمون شأنها؛ مع نقص في جوانب أخرى أحبُّ إلى الله من طلاب يلتزمون بكثير من السنن مع نقص في قدر الصلاة في قلوبهم، فإن الأولين أمسكوا بعمود الخيمة «الدين» فلا خوف على خيمتهم، بينما الآخرون ممسكون بأطراف الخيمة «الدين» مفرطون في عمودها؛ وهنا سنبقى قلقين على خيمتهم خوفاً عليها من السقوط.

إن التربية على تعظيم الصلاة المفروضة والعناية بها وإقامتها لم يكن في العهد المكي مفردة من مفردات التربية الإيمانية فحسب، وإنما كان منطلَقاً للتربية الإيمانية وركيزة من ركائزها، ومنها تتفرع المفردات التربوية، لقد كانت مصدراً من مصادر التربية الإيمانية، غير أنه مصدر رباني يرتقي المصلي فيه سلم العبودية والإيمان، وتسمو به نفسه في سماء الطهر والزكاء والنقاء، وإن على المربين اليوم أن ينظروا إلى الصلاة المفروضة من زاوية الركائز؛ لا من زاوية

المفردات فحسب، وأن يعيدوا التأمل جيداً في الشواهد والأدلة على ذلك. قال يونس بن عبيد رحمه الله: (خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره: صلاته ولسانه)[1].

- **التربية على الأخوة في الله**

جاء الإسلام للناس كآفة، لم تحمله عشيرة دون أخرى، ودعا النبي ﷺ الناس من جميع القبائل والعشائر إلى الإيمان؛ فأبو بكر من تيم، وعثمان بن عفان أموي، والزبير بن العوام أسدي، وعبد الله بن مسعود هذلي، وعثمان بن مظعون جمحي، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وبلال بن رباح عبد حبشي، وأسماء بنت عميس خثعمية، وعمار بن ياسر مذحجي.

لقد شعر المؤمنون حين دخلوا في الإسلام أن المجتمع الذي يعيشون فيه تحت راية العشيرة والقبيلة والقرية ليس صالحاً لأن تربطه بهم وشائج وأواصر ما لم يكونوا مؤمنين، فبدلهم الله بتلك الروابط: الأخوة الإيمانية، إذ ربط الإيمان بينهم بروابط أرقى وأعمق من روابط المجتمع والنسب، ولقد كان اجتماعهم ببعضهم ومحبتهم لبعضهم متعلقاً بسبب أعلى ورابط أعلى، وهو الإيمان، ثم يأتي النظر في بقية الروابط الدنيوية والطبيعية.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢١.

إن التربية القرآنية المكية لم تغفِل الجانب الإنساني في أولئك الثلة المؤمنة التي قطعت وشائج القربى والعشيرة، بل إنها لتؤكد أن هذا الجانب الإنساني له أثره الكبير في تقوية الإيمان بالله، وذلك أن المؤمن يجد سنده النفسي والاجتماعي في باحة إخوانه المؤمنين، وحين تُلبَى الحاجة النفسية للاجتماع والحب والأخوة؛ فإن ما يتلقونه أثناء ذلك من مسائل الإيمان ليجد قلباً مفتوحاً وعقلاً قابلاً لها، فيلتقون على طاعة الله ورسوله ﷺ ويتناصرون على ذلك.

وفي العهد المكي تبدو ظاهرتان:

الأولى: عقد المؤاخاة. وهي أقل رتبة من عقد المؤاخاة المشهور بعد الهجرة، فهي مؤاخاة مقصورة على المؤازرة والمواساة والعون والتذاكر والمدارسة لكتاب الله، دون التوارث وتقاسم المال، قال ابن حجر: (وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان، وذكر جماعة؛ قال: فقال علي: يا رسول الله، إنك آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: «أنا أخوك». وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به)[1]. وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب كان يتردد عليهما خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(١) فتح الباري ٧/ ٣١٨.

يقرئهما القرآن[1]. وفي قصة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابقة أنه ذهب وبعض الصحابة يصلون في الشعاب.

إن لهذه الأخوة الخاصة دوراً كبيراً في الثبات على الإيمان، والتقوية والعزيمة على طاعة الله ورسوله ﷺ، إذ تشكِّل تلك المؤاخاة لدى الأفراد انتماء قويّاً للفكرة التي انضووا تحت رايتها والمعتقد الذي ألَّف بينهم؛ فتقوى العزائم وتشتد الأواصر ويترسخ الإيمان.

الثانية: دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو من السابقين إلى الإسلام ومن شباب قريش وعقلائهم، كان عمره حين بعث الله نبيه سبعة عشر عاماً تقريباً، وداره تقع بالقرب من الصفا، حيث تكثر هناك حركة الحجاج والزوار[2]، اختارها رسول الله ﷺ ليجتمع فيها بالمسلمين سرّاً، فيتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وليؤدي المسلمون عبادتهم وأعمالهم، وليتلقَّوا ما أنزل الله على رسوله ﷺ وهم في أمن وسلام؛ وليدخل من يدخل في الإسلام ولا يعلم به الطغاة من أصحاب السطوة والنقمة[3].

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٨١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٣) الرحيق المختوم ص٩٧. وللاستزادة عن تاريخ دار الأرقم يراجع الطبقات ٣/ ٢٢٤.

كانت دار الأرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محضناً يجمع بين دفء الأخوة من جانب، وعمق التربية من جانب آخر، إذ يجتمع النُّزَّاع من العشائر والقبائل في مكان خاص لا يجمعهم سوى الإيمان وواجباته، فيتلقون دروس التربية القرآنية والتوجيهات النبوية، ويقيمون العبادات والأعمال، ويواسي بعضهم بعضاً بما يحتاجونه. لقد كان ذلك المحضن الأخوي هو البديل عن كل صِلات القربى وروابط العشيرة وعلائق القبيلة التي لا تؤمن بالله ورسوله.

إنه المجتمع الصغير الجديد، البديل عن مجتمع الرذائل والخطايا، ومهما احتاج المؤمن إلى مجتمعه الكبير، مجتمع القبيلة أو العشيرة أو الحي؛ فلا بد من محضن يأوي إليه يتزود فيه من الإيمان، ويقتبس فيه من وهج الأخوة، والآيات المكية جاءت تحث على ذلك في إشارات متفرقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[الكهف:١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

- **التربية علىٰ الارتباط بالقرآن**

ومن أبرز صور الارتباط بالقرآن تنزُّله على النبي ﷺ مفرَّقاً حسب الحوادث والوقائع، لقد كانت الآيات حاضرة في كثير من المواقف والأحداث تثبِّت النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتوجههم إلى الأرشد والأصوب، وتطمئنهم وتسليهم، وتبشرهم وترضيهم، وتساعدهم وتعينهم، فبينما المستضعفون من المؤمنين ينالهم أذى السادة والكبراء وسخريتُهم والاستخفافُ بهم ينزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾[الانفطار:١٣-١٦].

وحين أبى العاصُ بن وائل أن يعطي خباباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حقَّه، وقال ساخراً: فإني إذا متُّ ثم بعثتُ جئتني ولي ثَمَّ مال وولد، فأعطيتك؛ أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم:٧٧-٨٠][1].

وحين بلغ العذاب من عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مبلغه وأتى على ما يريدون من كلمات الكفر قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٥٩.

بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦][1].

وحين عمدت قريش إلى أن تُعلِن إسلامها المشروط بالإجابة عن تساؤلاتهم وبتنفيذ مطالبهم نزلت سورة الإسراء. وحين كثر التعذيب والاضطهاد وتقاطر المسلمون نحو الحبشة فراراً بدينهم أنزل الله تعالى سُوَراً أمثال القصص والعنكبوت والروم.

لقد كان القرآن المكي حاضراً شاهداً، وكانوا على ارتباط به، يسمعونه من النبي ﷺ ويحفظونه ويعلِّمونه لمن لم يكن حاضراً، ويتدارسونه بينهم، وهذا واحد من مقتضيات المؤاخاة المكية، وجزء من برنامج دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ومن أبرز صور تربيتهم على الارتباط بالقرآن فرض قيام الليل عليهم سنة كاملة، ثم نسخ الحكم ليصبح مستحباً؛ فقد جاء الأمر الرباني في العهد المكي بفرض قيام الليل على النبي ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[المزَّمل:١-٦]. قالت عائشة رضي الله عنها: (إن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٠٥.

نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة)[1]. إنك تتحدث عن سنة كاملة من ثلاث عشرة سنة؛ كان قيام الليل فيها فرضاً واجباً. وهو أمر مهم في تربية الصحابة على الإيمان وتثبيتهم عليه، ولله حكمة جليلة في ذلك، أبانه في كتابه: «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً». أي إن هذا القرآن بما فيه ثقيلٌ في نزوله، ثقيلٌ في العمل به[2]. فاحتاج المؤمن إلى ما يعينه على القيام بواجبات القرآن الإيمانية والأخلاقية؛ فوجَّه ربنا سبحانه إلى قيام الليل، ذلك أن قيام الليل بالصلاة والقرآن أكثر مواطأة بين القلب واللسان[3] فينتفع المصلي بذلك، قال قتادة: (أثبتُ للخير وأحفظُ للقراءة)[4].

وكما أنَّ قيام الليل ينهى عن الإثم ويعيْن على القيام بواجبات الدعوة الإسلامية؛ فهو أيضاً يربي المؤمن على إخلاص العمل لله والتجرد من حظوظ الدنيا، والرغبة فيما عند الله، والزهد في نظر الناس له، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[السجدة:١٦].

---

(١) مسلم (٧٤٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥١.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٢.
(٤) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٣.

لأجل ذلك كله فرض الله على تلك الثلة المؤمنة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قيام الليل سنة كاملة حتى انتفخت أقدامهم، ليكون بناؤهم الإيماني بناء متيناً صلباً متماسكاً، لا تزعزعه الأهواء ولا الفتن ولا الرزايا ولا الشهوات، وتخرَّج في مدرسة الليل الخاشعة أعمدة الدعوة وقادة الجهاد وحاملو رايات الفتح.

وكأني بسالمٍ مولى أبي حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قائماً في حجرته، وبصوت خفي لا يكاد يُسمع؛ يرتل كلام الله تجلله الرهبة والخشوع. وكأني بأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في فناء منزله صافاً قدميه يطيل الصلاة ودموعه تتحدر على لحيته، إنك لا تتحدث عن حوادث طارئة مؤقتة؛ إنك تتحدث عن عادة القوم.

وحين انتهت الحاجة من فرض قيام الليل ونسخه إلى التطوع؛ لم يجد الصحابة الكرام مساغاً لترك تلك المناجاة اللذيذة مع ربهم وتلاوة كلامه، فنُسخ الحكم وبقي العمل، وبقيت التربية الذاتية الليلية تعمل عملها.

إن قيام الليل بالقرآن يرفع من مستوى الرقابة الإيمانية الذاتية، ويزيد من قدرة المؤمن على التجرد والإخلاص، ويغرس في قلبه حبَّ الله وحبَّ طاعته وكراهية ما يبغضه الله من المعاصي والآثام، إن النفس التي تستسهل هجر الفرش الوثيرة والزوجة الأثيرة للتهجُّد ليلاً بكتاب الله يصعب عليها اقتراف الخطايا والآثام نهاراً.

وسر المسألة في أمرين:

أولهما: أن المداومة على قيام الليل يفتح على القلب أبواباً من معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته، فيورث المتهجد تعلقاً بالله بروحه وتوجهاً إليه بقلبه، فيتطهر قلبه من الشوائب، ويعمر بأعمال القلب المتنوعة التي تعصمه من الزيغ والضلال والافتتان.

وثانيهما: أن قيام الليل عمل يتطلب عزيمةَ نفس وقوةَ قلب وصبراً على مكابدة السهر وتأجيلاً لرغبات النفس وكبحاً لجماح الشهوات؛ فمن داوم على قيام الليل تقوَّت عزيمته وصلبت إرادته، وكان أكثر احتمالاً للمكاره المتوقعة، وأكثر صبراً على أداء المهام الصعبة، ويمكن تلخيص هذا الأمر بأن في قيام الليل تربية على الإرادة القلبية.

لقد كانت الوصية بقيام الليل من السنوات الأولى للدعوة الإسلامية. قال جابر بن زيد: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١]. ثم: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾[القلم:١]. ثم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزَّمل:١]...[1].

- **التربية علىٰ المداومة علىٰ ذكر الله**

ذكر الله هو الحصن الإيماني للمؤمن، حصن له من الشيطان، وحصن له من سهام الشهوات والشبهات، وحصن له من المضاعفات

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٥٣.

السلبية التي تفرزها المعاناة والآلام، لذلك تكرر كثيراً الأمرُ بذكر الله، واقترن في كثير من مواضعه بالصبر! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحِجر:٩٧-٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه:١٤].

وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم:١٧-١٨].

إنَّ ذكر الله تعالى يفضُل الكثير الكثير من الأعمال الصالحة في الأجر، قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الورِق والذهب، وخير لكم من أن تَلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى! قال: «ذكر الله تعالى»[1].

---

(١) الترمذي (٣٣٧٧).

ذِكر الله تعالى تطهير للقلب من النفاق والرياء، قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء:١٤٢]. فإذا أردت أن تنفي عن نفسك النفاق: أكثِرْ من ذكر الله تعالى.

والمداومة على ذكر الله تعالى طريق إلى حبِّه سبحانه، لذلك جاء القرآن بالأمر بالذكر كثيراً في العهد المكي، والمكثر من ذكر الله تعالى يفتح الله له أبواباً من معرفته ومعرفة حقيقة أسمائه وصفاته، فيزداد حباً لله تعالى وتعلُّقاً به وإيثاراً لمراضيه على شهوات نفسه، وينشرح صدره وتسكن نفسه ويطمئن قلبه مهما ادلهمت عليه الخطوب، فيكون أكثر ثباتاً وأعظم صبراً وأقوى إشراقاً وأنفذ بصيرة.

- **التربية علىٰ النفور من الفواحش والكبائر**

قال رسول الله ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»[1]. طريق مختصرة في التربية الإيمانية، ووسيلة متحققة لغاية العبودية.

لقد كان واضحاً منذ بداية شروق شمس الإسلام أن الله سبحانه وتعالى يكره الفواحش والكبائر، وأن تركها واجتنابها من سمات المؤمنين البارزة، ومن علامات المهتدين والمحسنين التي تميِّزهم من المشركين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٣١ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾[النجم:٣١-٣٢]. ولقد

(١) الترمذي (٢٣٠٥).

ظللت مندهشاً من وضوح صورة الإسلام لدى أصحاب النبي ﷺ في مكة في حين لا يزال في سنواته الأولى من التكوين، وبدا ذلك جليّاً في قول جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يخاطب النجاشي، فكان مما قاله: (وأَمَرنا بالكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات)[1]. وكانت قريش آنذاك قد غرقت في وحل الخطايا، واستطاعت أن تجعل لبعض ذلك مستنداً اجتماعيّاً عرفيّاً، وقد وصف القرآن هذه الحالة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٢٨].

إن مقارفة الفواحش والموبقات لتأتي على جبال الإيمان فتنقصها أو تنسفها، وإن استمراءها وإلْفَها يعني جفاف القلب وخواء الروح، ولا يستطيع مَن هذه حاله أن يقاوم موجة الطغيان؛ كيف يقاومها وهو لم يتحرر من إسار شهوته؟ كما أنه لا يستطيع أن يقوم بواجبات الإيمان وتكاليفه، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٤-١٥].

إن هجر الكبائر والفواحش بمثابة إماطة الأذى عن طريق الإيمان، وبمثابة القبض على قطَّاع الطريق إلى الإيمان، وبذلك تصبح طريق الإيمان مهيَّأة لمرتادها.

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٧٣.

- **التربية علىٰ بر الوالدين**

منذ البداية كان حثُّ الإسلام على الإحسان إلى الرحم وصلتها ظاهراً جليّاً لا ارتياب فيه، وكانت الآيات تتنزل بذلك، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[الإسراء:٢٦]. أمَّا أن يركِّز القرآن الكريم في الفترة التي كانت الأُسَر الكافرة من قريش منهمكة في تعذيب أبنائها وحبسهم وتصفيدهم في الأغلال، أنْ يتحدث القرآن الكريم بلغة حازمة عن بر الوالدين، فهذا مما يحعلك مندهشاً! قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

وحين اشتد الأذى على المسلمين في السنة الأخيرة من العهد المكي ونزلت سورة العنكبوت التي تحدثت صراحة عن موضوع الابتلاء وعالجته وناقشته، ولم تغب عن السورة مسألة بر الوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨]. فأيُّ معنى للتجرد والخروج من الذات ونبذ حظوظ النفس وتوحيد العبودية لله وحده تريد التربية المكية الوصول إليه؟ وهل هناك فكر أو نظام أو كيان يملك من العظمة كما يملك هذا

الدين حين يضبط سلوكك ومشاعرك وأنت في أوج انفعالاتك؟ وما هو الـمُخرَج التربوي الذي تكون التربية فيه بهذا المستوى من عمق المعالَجات؟

التوجيه الرباني بالبر بالوالدين الكافرَين في مكة تربية للقلب على التجرد لله وصدق التوجه إليه، وتربية على ضبط المشاعر والوفاء بالإحسان القديم، وتربية على ضبط السلوك، فلا يصدر إلا بدليل وفكرة، وتربية على ثبات الأخلاق الحسنة رغم المعاناة، فإن كثيراً من الذين أُمروا في مكة ببر الوالدين والإحسان إليهما كانوا يعانون من والديهم بسبب إيمانهم، فنزلت الآيات بالإحسان إلى أولئك الآباء لوجود مقتضى الإحسان، وألَّا يصرفهم عن هذا المقام ما وجدوه من أذى وتعذيب ومعاناة، فكم بالله عليك في هذا التوجيه الرباني من عمق تربوي؟!

ألَا يتطلب منهجنا التربوي في الحلقات القرآنية أن تكون التربية على البرِّ ركيزة ننطلق منها في فضاء العبودية الأرحب؟

### ■ المربي القريب من أصحابه

أما النبي ﷺ فمنذ أن أرسله الله، فإن قلبه لا يغفو عن أصحابه الذين اتبعوه، على الخوف الذي عاينوه والأذى الذي لاقوه، لقد كان ﷺ معهم يثبِّتهم ويبشِّرهم ويذكِّرهم بما أعدَّ الله لهم ويمنحهم

التفاؤل، لقد كان دفئاً لهم في زمهرير الابتلاء، وموجهاً لهم في الشدائد والمحن، ومثبتاً لهم على إيمانهم.

فهو يمر على آل ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والسياط تحرق ظهورهم فيقول: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة، وحين أتاه خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاكياً يطلب منه الدعاء، قعد ﷺ وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم يُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مَفْرِق رأسه فيُشَق باثنين؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[1].

وحين جاء عبد الرحمن بن عوف وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: «إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا»[2].

ولقد كانت دار الأرقم هي المحضن الذي يجمع المربي ﷺ بأصحابه وأتباعِ دعوته، فيصلُّون ويتلون القرآن ويتلقَّون التوجيه، ويفضون بهمومهم ومشاعرهم.

لقد كان هذا القرب وتلك المعايشة والمصاحبة هي القناة التي من خلالها تترسخ المفاهيم، وحولها تنسَج خيوط المحبة في الله.

(١) البخاري (٣٨٥٢).
(٢) جامع البيان ٥/ ١٧٠.

# الفصل الثاني

## معالم التربية والتعليم في الحلقات

# منهج التربية والتعليم في الحلقات

«دار القرَّاء» قامت في المدينة النبوية على عهد النبي ﷺ لتعليم القرآن الكريم[1]، ونشأت «الكتاتيب» في وقت مبكر بعد هجرة النبي ﷺ، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة من القرآن؛ وإن زيد بن ثابت له ذؤابتان في الكُتَّاب)[2]. و«الكُتّاب» مفرد للكتاتيب، ويقال لها أحيانا: المكاتب جمع مكتب، وهي مكان يجتمع فيه الأولاد لتعلُّم القرآن الكريم والكتابة والحساب.

ولقلة الكتابة بين الأنصار، وللحاجة إلى تعليم الكتابة في الكتاتيب؛ استثمر النبي ﷺ فرصة وقوع عدد من مشركي قريش في الأسر في غزوة بدر، ليقوموا بأدوار تعليمية، فقد كانت القراءة والكتابة متفشية في مكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة)[3]، وقال الشعبي: (كان فداء أهل بدر

(١) انظر: الطبقات ٤/ ١٩١، عصر الخلافة الراشدة ص٢٦٧.
(٢) الطبراني الكبير (٨٤٣٥)، وأصله في البخاري (٤٩٨٩).
(٣) المستدرك (٢٦٢١).

أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علَّم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّم)[1].

وأيّاً ما كان؛ فإن وجود الكتاتيب في عهد نبينا ﷺ يلزم منه وجود منهج تعليمي وطريقة إدارية، ولو كانا بسيطي التركيب والبناء؛ فإن «الكُتَّاب» يتعلمون فيه القرآن الكريم بالدرجة الأولى وبعضَ العلوم الأساسية كالكتابة والحساب، وله معلمون محددون، وله أيضاً مكان يجتمع فيه التلاميذ.

أن تبني بعض المؤسسات القرآنية عملها التربوي والتعليمي داخل حلقات تعليم القرآن الكريم على منهج معتمد واضح؛ فإن ذلك هو الأصل في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، حتى ولو كانت تلك المؤسسات القرآنية صغيرة الحجم، أو كانت لا تصل إلى المستوى الممتاز في بناء المنهج. أما غير الطبيعي فهو أن تبني المؤسسات والحلقات القرآنية عملها التربوي والتعليمي على غير منهج واضح، لا في أهدافه، ولا في مقرراته، ولا في طرائق التدريس فيه؛ بالتزامن مع التطور الهائل في الفكر التربوي والتعليمي، والذي من شأنه أن يسهل على هذه المؤسسات والحلقات بناء عملها التعليمي على منهج.

---

(١) الطبقات ٢/ ٢٢.

وسنستعرض فيما يلي المعالم والأطر التي نطمح أن يسير المنهج التعليمي والتربوي على ضوئها: السمات، الشروط، المخرجات.

## ■ مكونات المنهج

المنهج في اللغة: الطريق الواضح. ونَهَجَ الدابة: سار عليها، ونَهَجَ الطريق: سلكه[1]. أما في اصطلاح التربويين، فإن المنهج التربوي هو مخطط شامل ومنظم للعملية التربوية، بما فيها الخبرات والنشاطات، تنظمه المؤسسة التربوية وتقدِّمه لطلابها، لتحقيق أهداف تربوية[2]. فهو إذاً مخطط تعليمي مكتوب، يوضح الأهداف التربوية التي يسعى البرنامج إلى تحقيقها، ويوضح كذلك الموضوعات التعليمية التي يقدِّمها، والأساليب التي تتم بوساطتها عملية التعليم والتعلُّم، وطرائق التقويم المستخدَمة للتحقق من بلوغ الطالب الأهداف التعليمية[3]. ومن خلال التعريف والتوضيح السابقين يتبيَّن لنا أن المنهج التربوي يحوي عناصر أهمها:

### - أولاً: الأهداف التربوية

وهي التغير التربوي الذي ترغب المؤسسة القرآنية بإحداثه في الطالب.

---

(١) القاموس المحيط ص٢٦٦.

(٢) انظر: لغة التربويين ص٢٩٩، ودليل مفاهيم الإشراف التربوي ص١٢٣.

(٣) لغة التربويين ص٢٩٩.

كل عمل تربوي تعليمي يُحْدِث تغيُّراً في الطالب، والأهداف التربوية تجعل هذا التغير مقصوداً بذاته، يتطلع المعلم إليه ويسعىٰ نحوه، فبه يبدأ عمله التربوي وهو يرسم النتيجة في ذهنه.

مثال ذلك: أن يلتزم الطالب أذكار الصباح والمساء كلَّ يوم. هذا هدف تربوي، ترسمه المؤسسة قبل البدء بالعمل، وتوجه أنشطتها التربوية لغرس هذا الهدف في نفس الطالب، وبعد جهود حقيقية في هذا النحو، ولمدة معينة محددة، نجد أن الطالب يلتزم أذكار الصباح والمساء كلَّ يوم فعلاً.

هذا هو مفهوم الأهداف التربوية: نتيجة تتعلق بالجانب التربوي لدىٰ الطالب، تسعىٰ المؤسسة لتحقيقها، ومن ثَمَّ لا يصح أن يكون الهدف التربوي مُعبِّراً عن إجراءات التدريس وجهود التعليم، بل يعبِّر الهدف التربوي عن نتيجة سيؤول إليها الطالب المستفيد تجاه البرنامج التعليمي.

والتربية الإسلامية في الحلقات القرآنية عموماً لها غاية كبرىٰ، وهي تخريج جيل يحمل القرآن في قلبه ويرتبط به، ويتمثل أحكامه، ويتخلق بأخلاقه، وينطلق في حياته وَفْقَ توجيهاته، وهذه الغاية تمثل ضوء الشمس الذي ينير للمعلمين طريقهم وعملهم التربوي. ثم يأتي بعد هذه الغاية الكبرىٰ ثلاث مستويات للأهداف:

**المستوىٰ الأول: الأهداف العامة**: وهي أهداف بعيدة المدىٰ يمكن صياغتها بعبارات عامة، تصف منتجًا حياتيًا عامًا مرغوبًا، يحدث خارج العملية التعليمية، وتكمن أهميتها في كونها الموجِّه للأهداف المتفرعة والأنشطة الخادمة للأهداف، كما أنها تكشف عن مدىٰ ملائمة الأنشطة والإجراءات للأهداف المتفرعة.

ومن أمثلة الأهداف لهذا المستوىٰ: «تخلُّق الطلاب بأخلاق القرآن».

**المستوىٰ الثاني: الأهداف التعليمية (التربوية) أو الأهداف المرحلية**: وهي أهداف متوسطة المدىٰ، تمثل أجزاء للهدف العام، وبمجموعها يتحقق ذلك الهدف العام، ويمكن صياغتها بعبارات فيها عمومية لكنها أقل من عمومية الأهداف العامة، فمثلاً: «أن يتمثل الطالب الآداب الأسرية». فتلاحظ في هذا الهدف أننا وصفناه بـ «أن يفعل» وهذا في ذاته تحديد، غير أن المفعول به في هذا الهدف شيء عام يحتاج إلىٰ تفتيت وتجزيء ليتم إنتاجه بشكل منتظم وسلس ونافع.

وتصف هذه العبارات منتجًا تعليميًّا عامًّا مرغوبًا يحدث داخل النظام التعليمي، ويمكن تحديدها بزمن معيَّن: فصل دراسي، أو عام، أو شهر، ونحو ذلك، حسب حجم الهدف التربوي والاحتياج الزمني المقرر له، فهي مرحلية باعتبارين: باعتبار الزمن، وباعتبار المحتوىٰ.

**المستوىٰ الثالث: الأهداف السلوكية (الإجرائية)، أو التدريسية:** وهي أهداف قصيرة المدىٰ «آنية» يمكن صياغتها بعبارات إجرائية محدَّدة، تصف منتجاً مرغوباً داخل عملية التدريس الواحدة، يحدث في أثنائه أو ختامه، مع ملاحظة أن عملية التدريس قد لا تكون حصة دراسية فحسب، بل تشمل كافة المناشط والمواقف التعليمية المؤدِّية للهدف التدريسي ذاته. فلو قلنا إن كل «عملية تدريسية» بكافة متعلقاتها من أنشطة وواجبات تعدُّ وحدة؛ فإن هذه «الوحدة» لها أهداف سلوكية محددة.

ومن أمثلة الأهداف لهذا المستوىٰ: «أن يذكر الطالب آداب الاستئذان علىٰ الوالدين مرتبة».

ذلك، وإن المعلم الحاذق هو من يردم الفجوة بين واقع الطالب التربوي وبين النتيجة التي يسعىٰ ذلك المعلم أو المؤسسة التعليمية إلىٰ تحقيقها.

- **ثانياً: المحتوىٰ**

هو مجموعة من الحقائق والمفاهيم والمبادئ والمهارات والقيم والأنشطة التي يتضمنها المنهج المراد للطلاب أن يتعلموه[1]. ويسمى «المقرر الدراسي»، ويسمى أيضاً «المواد الدراسية»، ويصاغ

(١) لغة التربويين ص٢٦١.

في كتاب أو أكثر، فتجد -على سبيل المثال- للمادة الواحدة -أحياناً- ثلاثة كتب: كتاب الطالب وكتاب النشاط ودليل المعلم.

والمحتوى يُعدُّ ترجمة عملية واقعية للأهداف التربوية، ونظراً لأهمية المحتوى في بلوغ الأهداف التربوية فإنه ينبغي تحرِّي الدقة العلمية في اختيار الموضوعات المناسبة التي تساهم في بلوغ الأهداف التربوية المرغوبة في سهولة ويُسر، وبأقلِّ وقت وأدنى جهد وأرخص تكلفة[1].

ويُصمَّم المحتوى عبر الخطوات الآتية:

**أولاً**: تقوم المؤسسة القرآنية بوضع الأهداف العامة المزمع العمل عليها لمدة زمنية قادمة محددة، ويشارك المعنيين من هذه المؤسسة أحدُ خبراء التخطيط التربوي أو أكثر، إذ تُعقَد ورش العمل بهذا الشأن، وتعتمد العصف الذهني والتفكير الناقد، وتستشرف مستقبل الفئة المستفيدة ومحيطها ومجتمعها وتحدياتها. والاهتمام بهذه الخطوة ينبع من كونها تشكِّل الأساس الفكري لكل الممارسات العملية في المجال التربوي للمؤسسة.

**ثانياً**: إحالة مهمة صياغة المنهج إلى متخصصين تربويين، وبمتابعة من المؤسسة القرآنية، لتقوم هي بالاعتماد أو الاستدراك في كل مرحلة من مراحل بناء المنهج.

(١) المناهج بين الأصالة والتغريب ص١٠٢.

ونحن بحاجة إلى أولئك المتخصصين التربويين ليشاركوننا الخيرية في قوله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه» وذلك من خلال تطويع خبراتهم العلمية والفنية في خدمة القرآن، وما أروع أن يتحالف أهل القرآن مع المتخصصين التربويين، لِـمَا ستؤول إليه هذه التحالفات والشراكات من الخير العظيم.

**ثالثاً**: تقسيم المنهج التربوي على المدة المعتمدة، فلو كانت المدة ثلاث سنوات لقسمنا المنهج على ثلاث سنوات، وكل سنة ثلاثة فصول أو أكثر أو أقل، وهكذا.

**رابعاً**: الاستفادة من التجارب الميدانية، والاطلاع على أكبر عدد ممكن منها ودراستها، لتوفير كثير من الوقت والجهد والمال. وفي الساحة دراسات عديدة وتجارب مفيدة، منها ما قامت به بعض المؤسسات القرآنية، ومنها ما قامت به مؤسسات تربوية أخرى، وهي جهود مشكورة وبُذِلتْ فيها غوالي الأوقات والأفكار.

**خامساً**: تحكيم المنهج من خلال طلبة علم شرعيين، ومتخصصين تربويين غير الذين شاركوا في الإعـداد، وأخذ ملحوظاتهم وتوصياتهم بعين الاعتبار، والعمل على تعديلها في جو من التجرد والإخلاص وإرادة الصواب.

**سادساً**: تجريب المنهج في بعض مراحله أو كلها؛ وهو لا يزال في طور الإعداد، ليتم تحسين المنتَج في فترة الإعداد.

**سابعاً**: اعتماد المنهج التربوي لحلقات القرآن الكريم من الإدارة العليا للمؤسسة القرآنية، حتى يُفَعَّل على أحسن صورة.

- **ثالثًا: طرق التدريس**

وهي مخطط تدريسي عامٌّ يجري اشتقاقه وصياغته بدءاً من تحديد مجموعة من الأهداف «السلوكية» وانتهاء بالتقويم الذي يحدد مدى تحقُّق تلك الأهداف، وطريقة التدريس هي وصف للأسلوب أو الاستراتيجية التي يستخدمها المعلم ليحقق أهداف الدرس[1].

وبعض التربويين يسمي طرق التدريس: أساليب، والبعض الآخر يسميها: استراتيجيات، والمؤدَّى لا يختلف.

ولا توجد طريقة تدريس أفضل من غيرها، ويختار المعلمون دائماً طريقة التدريس التي تناسب مقتضيات الموقف التعليمي[2] وَفْقَ معايير تربوية.

وحين نتحدث عن طرق التدريس في الحلقات القرآنية فإنه يعرض لنا جانبان يتفقان في بعض النقاط ويختلفان في بعض آخر، وهما: طرق تدريس القرآن الكريم، وطرق تدريس المقررات التربوية والعلمية.

---

(١) لغة التربويين ص٢٠٤.

(٢) لغة التربويين ص٢٠٢.

- **رابعًا: التقويم**

وهو الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحديد مدى نجاح المنهج في تحقيق الأهداف التي وُضِع من أجلها[1]. وكما أنه يقيس مدى تحقيق الأهداف التربوية؛ فهو كذلك يكشف الصعوبات والمعوِّقات التي أثَّرت في تحقيقها، ويساهم في البحث عن علاج الطلاب المتأخرين تربويّاً وتعليميّاً، وهو أيضاً يساهم في إصدار أحكام على جودة المناهج والبرامج والفعاليات التربوية، بحيث تتميز هذه الأحكام بالدقة وقلة الأخطاء.

ويمثل التقويم نوعاً من التعقيب والتطوير لمنظومة المنهج، وينبغي التأكيد هنا على أن ذلك لا ينحصر في تقويم النواتج أو المخرجات فقط، بل يمتد ليشمل كلَّ المكونات الأساسية والعناصر المؤلِّفة للمناهج. فالتقويم بهذا المعنى يمثل اتصالاً مستمراً بجميع عناصر المنظومة دون أن يقتصر على جانب منها[2].

## ■ سمات المنهج في الحلقات القرآنية

١. المنهج التربوي في الحلقات يكون بناؤه علىٰ أسس التربية الإسلامية ومفرداتها، وهي التربية المستقاة من القرآن الكريم، التي

---

(١) المناهج بين الأصالة والتغريب ص١٦٤.

(٢) إطار مرجعي للتقويم التربوي ص٤٤٨.

فهمناها من نبيِّنا ﷺ وأصحابه الكرام، فهما المصدر الأصيل لمناهج التربية الإسلامية.

٢. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية يُكسِب الطالب دافعية التعلُّم وأدواتـه. فهو منهج يمنح المعلومة، ويضيف إليها أدوات المعرفة وتقنياتها، ليسهل علىٰ الطالب فيما بعد القياس والتعليل والقدرة علىٰ الاستنباط والاستدلال وتحقيق مناط الأحكام وتدبُّر الآيـات، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام:١١].

وهو منهج يذوق الطالب في رحابه لذة التعلُّم ويجد في أروقته سعة العلم وبهاءه ورونقه؛ فلا يزال الطالب حريصاً علىٰ مزيد من التعلُّم باحثاً عن المعرفة متلهفاً للازديـاد منها، مستشعراً الفضل الكبير في ذلك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

٣. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية يعتني بالتفكُّر. وقد نزلت كثير من الآيـات تحثُّ علىٰ إعمال العقل وتستنكر إهمال التفكير، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾[الأعراف:١٨٤]، وجيل اليوم يعاني من ضعف في التفكير الناقد، لعدة أسباب، وهو اليوم أحوج ما

يكون إليه، ليكون قادراً علىٰ التعامل مع الكم الهائل من المعلومات والبيانات والصور، التي يواجهها.

٤. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية متوازن. فهو يوازن بين عملية الإقراء والتربية والتعليم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢]. يقول أبو عبد الرحمن السلمي: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنَّا نتعلم القرآن والعمل به. وسيرث بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم). قال إسماعيل بن أبي خالد: (كان أبو عبد الرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات)[١]. وقال مسروق: (كان عبد الله يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار)[٢]. فهي ثلاث ركائز مقترنة ببعضها: الإقراء والتربية والتعليم، والمنهج الذي يقتصر على واحد منها منهج ناقص مشوَّه، يبني إنساناً ناقصاً مشوَّهاً في علمه وفكره وديانته وخلقه.

وهو منهج يوازن بين تربية الروح والعقل والجسد، ويتعامل معها علىٰ أنها مكونات الإنسان المترابطة، والطالب الملتحق بالحلقات

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠.
(٢) جامع البيان ١/ ٣٦.

القرآنية ينبغي أن يلمس نموّاً في روحه، ونموّاً في عقله، ونموّاً في جسده.

وهو منهج يوازن بين الثواب والعقاب، ويوازن بين التسليم والاجتهاد، ويوازن بين الضبط والمرونة.

٥. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية يعتني بالمراحل العمرية للطالب. فيقدِّر لكل مرحلة ما يناسبها من المفاهيم والتقنيات، ويستدعي خصائص كلِّ مرحلة واحتياجاتها عند رسم البرامج والمناشط.

إن أحد أسباب نفور الطلاب من الحلقة القرآنية وعزوفهم عن الالتحاق بها هو عدم اعتبار الفوارق العمرية بين الطلاب؛ مما يؤدي إلىٰ ذبذبة الخطاب وذوبان المواهب وضعف إشباع الحاجات النفسية. ولا شك أن عدداً من الحلقات ستواجه تحدياً بهذه السمة، لكن المأمول بإذن الله أن تكون العاقبة حلوة مثمرة. وقد كانت الكتاتيب للغلمان، ودور الإقراء للكبار.

٦. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية شمولي. فهو يعلِّم الطالب كتاب الله حفظاً وأحكاماً، ويدعو إلى الاستقامة والتدين وترك المحرمات، كما يعتني بتهذيب الأخلاق وغرس الفضائل، ويفقه الطالب في أمور دينه فيعرف الحلال والحرام، ويُكسِب الطالب

مهارات الحياة الاجتماعية، ويحدث فيه اعتدالاً في الشخصية، ويبصِّره بواقعه وتقنيات تقييمه والتعامل معه، ويجعله عنصراً إيجابياً في مجتمعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٩].

٧. المنهج التربوي في الحلقات القرآنية يجمع بين المثالية والواقعية. فهو يعترف بخصائص الطلاب ويتعامل معهم بواقعهم وطاقاتهم وميولهم وشخصياتهم وغرائزهم ونوازعهم، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، ولكنه في الوقت نفسه يرتقي بذلك الواقع وبتلك الطاقات والغرائز والنوازع والميول إلى ما يستطيعون ارتقاءه من المثالية، ويوجهها إلى الخير، يقول الماوردي: (وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته فإنه أروح للمعلم وأنجح للمتعلم)[1].

وهو منهج يقدِّر التحديات التي فرضتها البيئة الاجتماعية والثقافية وينظر إليها بوصفها إحدىٰ المعطيات المهمة في بناء المنهج.

## ■ شروط نجاح المنهج في الحلقات القرآنية

**الشرط الأول**: أن تتبنىٰ الإدارة العليا للمؤسسة القرآنية فكرة

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٨٩.

المنهج التعليمي من أَلفه إلىٰ يائه، إذ هي من يملك القرار الحقيقي في إعداد وتنفيذ هذا المنهج، وهي أيضـًا من يعتمد الموازنة المالية لذلك، ولعل اقتناع الإدارة العليا بفكرة المنهج مما يستحق أن يكون محل نظر وتأمُّل ومعالجة، إذ بات من أكبر التحديات التي يواجهها المعلمون في المؤسسات القرآنية.

**الشرط الثاني**: التخطيط للمنهج في كل مراحله: الإعداد والتنفيذ والتقويم والتطوير. فلا مجال للعشوائية والارتجال في منهج التعليم. ويفضل أن يكون إعداد المنهج التعليمي للحلقات القرآنية مشروعـًا تعتمده الإدارة العليا للمؤسسة القرآنية، ويدار وفق نماذج مشاريع احترافية ومتطورة، بغرض الرفع من مستوىٰ جودة المخرجات.

**الشرط الثالث**: تأهيل المعلمين لتنفيذ واجبهم التعليمي، فإنهم حجر الزاوية، ومهما أبدعت المؤسسات القرآنية في إعداد المناهج وتطويرها، فإن المعلمين هم من يقع عليهم عبء الممارسة التعليمية والتربوية.

**الشرط الرابع**: التقويم المستمر للمنهج التعليمي بكافة عناصره، وتصحيح انحرافات التنفيذ الناشئة عرَضـًا، واستدراك أخطاء التخطيط والتنفيذ، والتجرد في هذه المسألة، فإن وقوع الخطأ مسألة طبيعية، أما غير الطبيعي هو الاستمرار فيه والإغضاء عنه خشية التقليل من شأن المخطئ.

## ■ مخرجات المنهج في الحلقات القرآنية

في نهاية المطاف -بإذن الله- سيتخرج الطالب في الحلقة، وسيحفظ ما قدَّره الله له من كتاب الله، مستفيداً من المواد التربوية المقدَّمة له في الحلقة، وسيمضي في شؤون حياته؛ أيّـًا كانت. فما هي صفات هذا الطالب الذي أمضىٰ سنوات في الحلقة القرآنية؟ وما هي النتيجة التربوية التي جنتها المؤسسة القرآنية من هذا الطالب بعد رعايتها له وتربيتها له التربية القرآنية؟

من أبرز مواصفات الـمُخرَج التربوي للمنهج والمتمثل في هذا الطالب ما يلي:

١. **حفظ القرآن الكريم أو ما تيسر منه:** فهو أصل حضوره والتحاقه بالحلقة، فيكون حافظـًا متقنـًا لما حفظه، ضابطـًا لأحكام أدائه ووقفه وابتدائه، قادراً علىٰ استظهاره وإمامة الناس به، متعاهداً له حتىٰ لا ينساه.

٢. **الاستقامة علىٰ أمر الله:** فهو يلتزم طاعة الله ومرضاته، ويحب ما يحبه الله، متَّبعـًا سنة النبي ﷺ، يعلوه وقار الطاعة وسكينة الإيمان. يتقي المحارم ليكون أعبد الناس، ويستعيذ بالله من سخطه وغضبه، ويتجنب سبيلهما، ويخاف الله في ألفاظه وأفعاله وحركاته وسكناته، وعلىٰ هذا كان المتعلمون من أصحاب النبي ﷺ والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ويصف الذهبي التابعي الجليل الأسودَ بن يزيد النخعي فيقول: (وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن، يُضرَب بعبادتهما المثل)[1]. وهما معاً من خاصة النجباء من طلاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي قال: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون)[2].

ولا يعني ذلك عصمته من الخطأ والزلل، فطبيعة البشر أن يقعوا في الخطأ، لكنه سرعان ما ينهض من وقعته وكبوته فيصحح خطأه ويتوب إلى الله ويلتزم عبوديته لله ويسلك الصراط المستقيم. كما أنه يبتعد أشد البعد عن الفواحش والكبائر، قال تعالى: ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم:٣١-٣٢]. وعبوديته لله تستلزم خضوعه له وحده، فلا يخضع لأحد إلا الله، ولا ينحني لسواه.

**٣. ثبات المنهج**: رغم تغيُّر الظروف وتبدُّل الأحوال وتنوُّع الموجات الفكرية، فلا يستخفَّنَّه الذين لا يوقنون، يخالط الناس دون أن يأذن لهم بأن يخدشوا دينه، ويعيش في أوساطهم رافعاً رأسه بما وهبه الله من القرآن.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص٤٣.

وهو مع ذلك قادر على مواكبة التغيُّرات والتأقلم مع الظروف والعيش في وهج الانفتاح، يفرق بين المنهج من جانب وبين الأدوات والتقنيات من جانب، فلا يغيِّر المنهج وإنما يغير الأدوات والتقنيات، ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يعرفون كيف يتعاملون مع الانفتاح على الأمم الأخرى، واستفادوا منها ما يجوز شرعاً الاستفادة منه، كتدوين الدواوين وبعض الأنظمة الإدارية، وتعاملوا مع الواقع المنحرف بما يمكن التعامل معه، دون أن يلحق بنيانَ الإيمان فيهم غبار من شوائب تلك الحضارات. قال أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة، فننحرف عنها ونستغفر الله تعالى)[1].

٤. **المسؤولية الفردية**: له طريقته في التفكير واختياره البدائل، ينظر إلى الأمور بعين بصيرته ويتعرف المآلات. يقود نفسه بالحجة والبرهان، هجيراه: «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟». ليس إمَّعة، ولا يقوده الإعلام، ولا يستنـزفه التَّيارُ الغالب، ولا تجرفه الموضة. ومن وصايا المقرئ الكبير ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطلابه: (اغدُ عالماً أو متعلماً ولا تكونن إمَّعة بين ذلك)[2]. وقدِم التابعي الجليل مسروق إلى المدينة، فسمع قول زيد بن ثابت في مسألة

---

(١) البخاري (٣٩٤).

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٥.

فرضية يخالف فيها قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأعجبه، فقيل له: أتترك قول عبد الله؟ فقال: (أتيت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم)[1]. تأمَّل في هذا! فمسروق من نجباء تلاميذ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن أصحابه الخلَّص، ومع ذلك فإن التربية التي تلقَّاها جعلت له استقلالاً في آرائه، لا يحكمه إلا العلم الراسخ والحجة الواضحة، وليس الانتماء أو التعصب للرجال.

ومع ذلك فلديه القدرة على الموازنة بين الجماعية والفردية، فهو يعرف ما عليه تجاه من يجمعهم به جامع، فيقوم بهذه الواجبات، وحين حج بالناس أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأتم الصلاة أربعاً في منى؛ أنكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الأمر، لكنه صلى معه أربعاً، فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً، قال: (الخلاف شر)[2].

٥. **العطاء والإيجابية**: كريم اليد والنفس، يحب الخير للناس وينفع المجتمع ويساهم في بنائه، ويشعر بمسؤوليته الاجتماعية تجاه أسرته وبلده وأمته، ويمنع الظلم ويأنف منه ويسعىٰ في التخفيف منه، ولا يستطيع العيش إلا خادمًا لأمته وداعية إلىٰ دين الله بلسانه أو بقلمه أو بسَمْته أوبعمله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٧.
(٢) أبو داود (١٩٦٠).

لشخصيته هالة من الحب والقبول في الوسط الذي يعيش فيه، مَصْنعٌ للأفكار الخلاقة، وملاذٌ للملهوفين والمستضعفين، ينفق المال في سبيل الله، وكذلك ينفق العلم والفكر والجاه والطاقة.

ولقد كان القرَّاء من أصحاب النبي ﷺ علىٰ هذه الصفة فكانوا بُناةً للأمصار بعد فتحها بالجهاد؛ فمنهم من جاد بروحه في سبيل الله ونال الشهادة كسالم مولىٰ أبي حذيفة، ومنهم من طفق يعلِّم الناس ويسوسهم ويصلح معاشهم كأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهم جميعًا.

وهو مبدع لا يستسلم للإخفاقات، بل يبتكر ويخترع ما يفيد نفسه ودينه ومجتمعه، ولا يجمد علىٰ أساليب قديمة، بل يجدِّدها.

٦. **المروءة وكرم الأخلاق**: قد كساه القرآن ثوب الفضائل وألبسته تاج الوقار، وتكاملت في روحه ونفسه الأخلاق الفاضلة، ليِّن المعشر يأْلَف ويؤلَف، طيب الحديث وصادق الوعد، ليس بالكذاب ولا الخائن، كارهٌ للظلم والتعسف. تدفعه مروءته إلى الدفاع عن المظلومين وإسعاد المحزونين، ولا يشبع وجاره جائع، ويكرم الأضياف ويَبر والديه ويحسن إلى أقاربه. سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل: (ألستَ تقرأ القرآن؟)

قال: بلى. قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[1]. يكظم غيظه ويعفو عن الناس ويحمي الفضائل ويحارب الرذائل، نزيهاً عن الدناءات والبذاءات، ونزيهاً عن الأحقاد، ونزيهاً عن الاختلاسات والرشاوي. قد طهَّر داخله وخارجه، ومظهره ومخبره، فهو طيب نقي: نقي الكلام، ونقي القلب، ونقي المال، ونقي المجلس.

(١) مسلم (٧٤٦).

# الحلقات ورعاية الحفاظ

سأعرض لك هاتين الروايتين الواردتين عن الأمير المقرئ والصحابي المربي أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبعد قرابة ثنتي عشرة سنة، وفي ختام مسيرته التعليمية بمسجد البصرة، أو في ختام مرحلة منها؛ اجتمع أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطلابه الذين أتموا حفظ القرآن، وقال لمساعديه: لا تُدخِلوا عليَّ إلا من جمع القرآن. قال أبو الأسود الديلي: فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة، فوعَظنا، وقال: (أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن بكم الأمد، فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب، لقد أنزلت سورة كنا نشبهها ببراءة طولاً وتشديداً، حفظت منها آية: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لالتمس إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». وأنزلت سورة كنا نشبهها بالمسبحات أولها «سبح لله» حفظت آية كانت فيها: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم، ثم تسألون عنها يوم القيامة»). وفي رواية أبي كنانة قال أبو موسى لأصحابه الذين أتموا حفظ القرآن: (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع

القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زجَّ في قفاه فقذفه في النار)[1].

هاتان الروايتان قد تكونان في مناسبة واحدة، وقد تكونان في مناسبتين مختلفتين، لكنهما تفيدان اجتماعاً يعقده أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصفته الأستاذ، مع الطلبة الذين أتموا حفظ القرآن كاملاً، يقوم فيه على توجيههم ووعظهم، لينعكس أثر القرآن على سلوكهم وسمتهم.

لم يكتفِ أبو موسى الأشعري بأن قدَّم دور «المحفِّظ» لطلاب البصرة، بل أضاف دوراً آخر، وهو دور «المربي»، وذلك إيماناً منه بأن مسألة حفظ القرآن لها ما بعدها، إما الجنة وإما النار، وأن عليه وهو «المقرئ المربِّ» أن يأخذ بأيدي طلابه إلى طريق الجنة بعد أن أتموا حفظ القرآن، وأن يسعى في وقايتهم من نار جهنم، أعاذنا الله وإيَّاكم منها.

وفي حديثه التربوي مع طلابه ما يفيد اختصاصهم بمزيد عنايته، فقد جمع الذين أتموا الحفظ فقط من بين الكثرة الكاثرة من طلابه في مسجد البصرة، كما يفيد أنهم أهل للاهتمام إذ قال: «أنتم قراء أهل البلد».

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٥٧.

وهنا يبرز سؤال: هل يمكننا أن نصنف حُفَّاظ القرآن الكريم في عِداد «الموهوبين» أو النجباء؟

دعونا نتلمس الإجابة عن هذا السؤال في تعريف الموهوب عند التربويين المعاصرين.

يعرِّف «ويتني» الموهوب بأنه الذي يُظهِر تفوُّقاً مستمراً، في أي ميدان من ميادين الحياة، وتورِد «مارجريت لندسي» تعريف الموهوب بما جاء في القانون الأمريكي العام بأنه: من يمتلك قدرات كامنة أو ظاهرة، يدل عليها أداء رفيع، في مجالات عقلية أو ابتكارية أو أكاديمية أو قيادية، أو في الفنون الأدائية أو التشكيلية... إن الموهبة في مفهومها الشامل لم تعد قاصرة على التحصيل في المجال الدراسي والأكاديمي، بل تعبِّر عن أداء مرتفع لدى الموهوب في شتى المجالات[1].

من هذا المفهوم الشامل للموهوب يمكننا تصنيف حفاظ القرآن الكريم ضمن الموهوبين، فإنهم يحفظون كتاباً كاملاً وفق معايير محددة من التجويد والأداء ومهارات الوقف والابتداء والترتيل، وغير ذلك، ولا أودُّ الإطالة في بيانه وهو من الوضوح بمكان، لكني أتساءل: ما هو دور المؤسسات القرآنية في رعاية هذا النوع من

(١) انظر: الموهوبون، ص ١٩ - ٢٠، نقلاً عن: الموهوبون ورعايتهم رؤية تربوية دراسة أعدها أ.د. إبراهيم بسيوني عميرة.

الموهوبين، أعني حفاظ القرآن الكريم، وماذا يمكن أن تقدمه لهم؟ ولعل فيما تأتي يعد مشاركة في الإجابة عن هذين التساؤلين.

لقد أولت المؤسسات التربوية الحكومية في العالم أولوية تربوية للموهوبين، وصُنِّفوا تربوياً ضمن ذوي الاحتياجات الخاصة؛ أي أنهم بحاجة إلى عطاء تربوي خاص يختلف عن أقرانهم غير الموهوبين، وتقوم وزارات التربية والتعليم في العالم بإقامة برامج خاصة للموهوبين ذات ميزانيات عالية؛ إذ إن أعظم الاستثمار هو الاستثمار في الإنسان.

## ■ الحاجة إلى رعاية الحفاظ

- لقد سمى الله الذين حفظوا القرآن: علماء. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]. قال الشوكاني: (يعني المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ وحفظوه بعده)[1]. وهذا يعني أن الحلقة التي أتم فيها بعض الطلاب القرآن الكريم حلقة تضم بين جنباتها من هم من الذين أوتوا العلم، فوجب الاهتمام بهم ورعايتهم.

- لا ينفع الحفظ دون الفهم الجيد لهذا القرآن وفقهه، كما مرَّ سابقاً، يقول ابن حزم محللاً نشوء التكفير عند فِرق الخوارج: (كانوا

---

(١) فتح القدير ٤/ ٢٥٨.

أجلافاً أعراباً قرؤوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء، لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمرو ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبي موسى ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبي الدرداء ولا أصحاب سلمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفِّر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا، وصغارها...)[1]. والأصحاب عندهم بمعنى الطلاب في عصرنا. فتأمل حال هؤلاء: يحفظون القرآن ويستدلون به ويكثرون من العبادة، غير أن فهمهم السقيم للآيات وعدم تبصُّرهم بدلالاتها وترْك التفقه في كتاب الله تعالى على أيدي المربين العارفين جعلهم يسلكون هذا المسلك من الانحراف عن الجادة، وجرِّ الأمة إلى شفير الانقسامات والاقتتالات وجلب الويلات لها.

- وجَّهت السنة إلى مزيد اعتناء بالحفَّاظ في الدنيا في عدد من الأحاديث، منها حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[2]. ومنها حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان

(١) الفصل في الملل والنحل ٤/ ١٣٢.
(٢) أبو داود (٤٨٤٣).

يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول: «أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟» فإن أشير إلى أحدهما قدَّمه في اللحد[1].

- حفَّاظ القرآن الكريم مظنة الترؤس والوجاهة والمكانة الاجتماعية والدينية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه...)[2].

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: (من استعملت على أهل الوادي؟) فقال: ابن أبزى. قال: (ومن ابن أبزى؟) قال: مولى من موالينا. قال: (فاستخلفت عليهم مولى؟!) قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل عالم بالفرائض. قال عمر: (أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[3]. بل إن النبي ﷺ أمر أن يؤمَّ الناس في الصلاة أقرؤُهم

---

(١) البخاري (١٣٤٣).
(٢) البخاري (٤٦٤٢).
(٣) مسلم (٨١٧).

لكتاب الله[1]. ومجموع هذه الآثار تدل على أن حفَّاظ القرآن الكريم هم المقدَّمون في إمامة الصلاة وقيادة الناس، وتصديهم لهذه الشؤون يتطلب قدراً كافياً من التهيئة والتأهيل والتجهيز.

- حفَّاظ القرآن هم تلاميذ اليوم وأساتذة الغد، أي أنهم سيكونون في مستقبل الأيام نَقَلَة الرسالة من الجيل السابق إلىٰ الجيل اللاحق، وحمل القرآن ونقل الرسالة لا يقوم بهما كما ينبغي إلا من أصبح لذلك أهلاً وله علىٰ حملها قدرة، ولا يكون ذلك دون الاعتناء بتلاميذ اليوم الذين أتموا حفظ القرآن الكريم، وإعطائهم مزيداً من الرعاية والاهتمام.

## ■ نجباء بين يدي الرسول ﷺ

هنا نستعرض سيرة زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التعليمية والإنتاجية بصفته من النجباء الذين رزقهم الله مواهب عديدة، واستثمرها المعلم الكبير ﷺ.

مات ثابت بن الضحاك، والدُ زيد، قتيلاً يوم بُعاث قبل الهجرة النبوية، فعاش زيد بن ثابت يتيماً، حيث كان عمره حين قُتل أبوه ست سنين[2]، وبدت عليه في صغره أمارات النجابة والقدرة على التعلم.

---

(١) مسلم (٦٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٣.

وحين بلغ الحادية عشرة من عمره قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان حينها يحفظ بعض سور القرآن، مما لا يتمكن أقرانه من حفظه؛ لسبب أو لآخر، وكان ذلك سبباً في احتفاء الناس به، يقول: (أُتي بي النبي ﷺ مقدمَه المدينة، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأتُ على رسول الله ﷺ؛ فأعجبه ذلك، وقال: «يا زيد، تعلَّمْ لي كتاب يهود؛ فإني والله ما آمنهم على كتابي». قال: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم)[1]. وقد تعلم زيد العبرانية أو السريانية في مدارس اليهود التي تسمى «ماسكة»[2].

لقد استطاع ﷺ بحاسته التربوية أن يحدد مسار هذه الشخصية وقدراتها وميولها، فأمره أن يتعلم لغة اليهود، فحذقها في نصف شهر فقط، ويمكن أن يصنف هذا الإنجاز ضمن الذكاء اللفظي، إذا انطلقنا من زاوية الذكاءات المتعددة.

لم تنته قصة الذكاء اللفظي لدى زيد هنا، فقد كان -كما قال الذهبي- ذكياً ثقفاً[3]، أي حاذقاً فطناً متقناً لما يتعلمه، وهذا يعني أنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٨.
(٢) الطبقات ٥/ ٣٠٨.
(٣) معرفة القراء الكبار ١/ ١١٩.

يتحلى بنوع آخر من الذكاءات، وهو الذكاء المنطقي الرياضي، وكان من نتائج الاهتمام بهذه الشخصية في ذكاءاتها المتنوعة أن برع زيد في ثلاثة أمور: إتقان وضبط القرآن، وتعلم اللغات، وإتقان الفرائض.

واستثمر النبي ﷺ فرصة وقوع عدد من مشركي قريش في الأسر في غزوة بدر، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة[1]، قال الشعبي: (كان فداء أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّم)[2].

كتب زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوحي للنبي ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن[3]، وشارك في الجهاد ابتداء من غزوة الخندق[4] وفاته الجهاد في بدر وأُحُد لصغر سنه، وكانت مدة بقائه مع النبي ﷺ منكبّاً على التعلم وحفظ القرآن وضبطه والمشاركة مع عموم الصحابة في طاعة النبي ﷺ.

وإذا فصلنا قليلاً في الأمور التي برع فيها زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإننا سنرى إنجازاً غير عادي، ففي جانب تعلُّم اللغات؛ تعلَّم زيد لغة اليهود العبرانية (أو السريانية) في مدارسهم في نصف شهر، كما

---

(١) المستدرك (٢٦٢١).
(٢) الطبقات ٢/ ٢٢.
(٣) شرح السنة ٤/ ٥٢٥، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣٧.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٣.

تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً، وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خُدَّام رسول الله ﷺ[1].

وفي جانب علم الفرائض؛ فتح الله تعالى على زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا العلم حتى حذقه وأصبح المقدَّم فيه بين أصحاب النبي ﷺ بشهادته ﷺ، إذ قال: «وأفرضهم زيد بن ثابت»[2]. وحين أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابة إلى الأمصار يعلِّمون الناس؛ نهاهم أن يُفتوا برأيهم، في حين أبقى زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة ليفتي أهلها واستعمله على القضاء وفرض له رزْقاً. قال الشعبي: (غلب زيد الناس على اثنتين: الفرائض والقرآن). وبلغ من سعة علمه بالفرائض أن مسروقاً وهو أحد أصحاب ابن مسعود النجباء الخلص عوتب في تركه قول ابن مسعود في إحدى المسائل الفرضية إلى قول زيد، فقال: (أتيت المدينة، فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم)[3].

وفي جانب حفظ القرآن وضبطه... فقد بلغ الثريا في ذلك، وهو من القلائل الذين أتموا حفظ القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ. وقرأه عليه، ومما يدل على احتفاء النبي ﷺ به ما قاله في غزوة تبوك، حيث كانت راية بني مالك بن النجار مع عُمارة بن حزم، فأدركه

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٨.

(٢) الترمذي (٣٧٩١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٢-٤٣٧.

رسول الله ﷺ وأخذها منه، فدفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: «لا، ولكن القرآن يقدَّم، وكان زيد أكثر أخذاً منك للقرآن»[1]. ومن بلوغه الثريا في جانب حفظ القرآن وضبطه أن قرأ عليه من الصحابة ابنُ عباس، وأبو هريرة رضي الله عنهما، ومن التابعين أبو عبد الرحمن السُّلمي[2]، وتصدَّر للأداء[3]. واعتمد عليه الخليفة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابة القرآن في الصحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرقاع، وبقيت هذه الصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلى أن ندب الخليفة عثمان زيد بن ثابت ونفراً من قريش إلى كتابة هذا المصحف العثماني الذي لا يوجد في الأرض قرآن سواه[4].

تلاحظ فيما سبق الاستثمار الموفق لمكونات شخصية زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتوجيهه في المسارات الملائمة لشخصيته، كما تلاحظ أيضاً الرسوخ المنهجي في مواقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يؤشر إلى عمق العملية التربوية التي تعاطاها في مدرسة محمد ﷺ. لا شك أن هذا التزاوج بين عناصر الشخصية من جانب، والمنهجية التربوية من جانب آخر ستُحدث مثل هذا الأثر الكبير وأكثر.

---

(١) الطبقات ٥/ ٣٠٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٧.

(٣) معرفة القراء الكبار ١/ ١١٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤١.

وسيرة زيد بن ثابت ذات الإنتاجات والمواقف كثيرة، لخصتها فيما سبق، بوصفها نموذجاً تطبيقياً لرعاية الحفاظ على عهد النبي ﷺ. ونحن اليوم نتساءل عن دورنا في رعاية الحفاظ في حلقاتنا ومؤسساتنا القرآنية.

## ■ دور الحلقات في رعاية الحفاظ

### - أولاً: الاهتمام بالمراجعة وإتقان الحفظ

وذلك لأن القرآن الكريم يُنسَى بعدم المراجعة، وحينها تفوت فضائل حفظه في الدنيا والآخرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له -ولفظ مسلم: الماهر بالقرآن- مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد -ولفظ مسلم: وهويتتعتع فيه وهو عليه شاق- فله أجران»[1]. قال النووي: (الماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه، وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه)[2]. فتأمل هذا الفضل العظيم كيف يفوت على حافظ القرآن حين تكون درجة إتقانه لحفظه متدنية، لذا ثبت عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨).
(٢) شرح النووي ٦/ ٣٢٦.

عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها»[1]. والقرآن من طبيعته أن يتفلت كما تتفلت الناقة من عقالها، فيجب على مَن حفظ أن يتعاهد القرآن ويُحكِم حفظه كما يُحكِم صاحب الناقة ربطها بالعقال.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول نَسيت آية كيت وكيت، بل نُسِّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم»[2]. قال البغوي رحمه الله: (نُسِّي أي عوقب بالنسيان على ذنبٍ أو سوء تعهُّده للقرآن)[3].

وإذا كان العلماء استنبطوا وجوب مراجعةِ القرآن وتعاهدِه من الأحاديث السابقة، فإن فعل النبي ﷺ وسلف الأمة يدل على أن العرْض على المعلم صورة من صور التعاهد والمراجعة؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسل). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي

---

(١) البخاري (٥٠٣٣).
(٢) البخاري (٥٠٣٢).
(٣) شرح السنة ٤/ ٤٩٥.

قبض)[1]، قال ابن حجر: (أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إيَّاه. وقال: والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلّاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع)[2]. وعن مجاهد قال: (عرضت القرآن على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية)[3].

ومن وسائل الاهتمام بمسألة الإتقان: الاختبار، ومن اللطائف أن خباب بن الأرت فعل ذلك مع طلاب ابن مسعود رضي الله عنهما[4]، وهي مفيدة لا سيما إذا كانت مجدولة أو بشكل متكرر، وكل ما يؤدي إلى مقصودها فهو مثلها كالمسابقات، إذ تهدف في نهاية المطاف إلى إتقان المحفوظ، إن الاختبارات والمسابقات القرآنية تحفز الطالب نحو المراجعة ونحو تركيز اجتهاده في إتقان المحفوظ.

ومن وسائل الاهتمام بمسألة الإتقان: الإمامة بالناس في صلاة التراويح، يقول ابن خزيمة: (استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك. فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة. ففعلت، فلما عَيَّدْنا أذن لي)[5].

---

(١) البخاري (٤٩٩٧، ٤٩٩٨).
(٢) فتح الباري ٨/ ٦٥٩.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢٧٨).
(٤) البخاري (٤٣٩١) وانظر الإفصاح ٢/ ٨٢.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٧١.

- **ثانيـًا: التربية والتوجيه**

في تحليل ابن حزم رحمه الله لتكفير الخوارج بعضهم آنف الذكر إشارة قوية إلى أهمية اقتران التربية بحفظ القرآن، وأن حفظ القرآن وحده دون التربية الصحيحة على آدابه وأحكامه ودون الفهم السليم لمعانيه ومراده قد يكون وبالاً على حافظ القرآن هذا، وعلى هذا دلت النصوص كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أول من تسعر بهم النار ثلاثة»[1]. وقد مر بنا أهمية هذه المسألة فيما سبق، ومما ينبغي أن يتربى عليه حافظ القرآن:

- **التربية على صدق الإيمان وتوجه القلب إلى الله تعالى:** وذلك لبُّ أعمال القلوب، قال جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كنا مع نبينا ﷺ فتياناً حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً)[2]. وقال ابن عمر: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن)[3]، ويقصد أنهم كانوا يتعلمون الإيمان قبل تعلمهم القرآن، فإذا كان هذا هو حالهم قبل تعلُّم القرآن فما بالك بحالهم حين يحفظون القرآن!

---

(١) الترمذي (٢٣٨٢).
(٢) ابن ماجه (٦١).
(٣) المستدرك (١٠١).

- **التربية على التعبد والتنسُّك**: وهذا من تعلُّم الإيمان كذلك، فهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي حفظة القرآن فيقول: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون)[1].

والتربية على قيام الليل، على وجه الخصوص، لها تأثير خاص على حافظ القرآن من جهتين -فضلاً عن الفضائل المتواترة في قيام الليل- أما الأولى فلكونه أثبت لحفظ القارئ إذا كان يقوم الليل من حفظه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزَّمل:٦]. قال قتادة: (أحفظ للقراءة)[2]. أما الثانية فكونه سمتٌ عباديٌّ لحامل القرآن، وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار...» الحديث[3]. قال الحسن البصري رحمه الله: (إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويُنْفِذونها في النهار)[4].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٤٣.
(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٦٣.
(٣) البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).
(٤) التبيان ص٤٣.

- **التربية على ملازمة تلاوته**: وهو لازم من لوازم حفظ القرآن وثمرة من ثمراته، وقد كان سلف الأمة يواظبون على تلاوته، بدرجات متفاوتة في مقدار ما يتلونه. وسيأتي مزيد بيان لهذه الفقرة، إن شاء الله، وقد بلغ بهم الحال أن وضع البيهقي في كتابه شُعَب الإيمان فصلاً في هذا، فقال: «فصل في إدمان تلاوة القرآن». والنبي ﷺ وصف الملازم لتلاوة القرآن بالصاحب، فقال: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»[1]. والصاحب هو المؤالف الملازم.

- **التربية على التدبر والتفهم**: وهو المقصود من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص:٢٩]. فإذا لم يحصل التدبر والفهم لم يغنِ حفظ القرآن عن صاحبه شيئاً. لقد كان أصحاب النبي ﷺ يربُّون حفَّاظ القرآن على هذا؛ فعن أبي وائل قال: (جاء رجل يقال له: نهيك بن سنان إلى عبد الله -يعني ابن مسعود- فقال: يا أبا عبد الرحمن! كيف تقرأ هذا الحرف، ألفاً تجده أم ياءً: «من ماء غير ءاسن» أو «من ماء غير ياسن»؟ قال: فقال عبد الله: وكلَّ القرآن قد أحصيتَ غير هذا؟ قال: إني لأقرأ المفصَّل في ركعة. فقال عبد الله: هذًّا كهذِّ الشعر؟ إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب

---

(١) مسلم (٧٨٩).

فرَسخ فيه نفع)[1]. قال النووي رحمه الله: (معناه: إن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقُّله وتدبُّره بوقوعه في القلب)[2]. فانظر إلى ذلك الإمام وهو يلفت أنظار الحفاظ إلى جانب مهم في حفظ القرآن: التدبر والتفهم.

- **التربية على الاستغناء بالقرآن**: والزهد فيما عند الناس، كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي حفاظ القرآن الكريم، فيقول: (يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق، فاستبِقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس). وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: (ينبغي لحامل القرآن أَلَّا يكون له حاجة إلى أحدٍ من الخلفاء فمن دونهم)[3].

وفي الوقت الذي ينبغي علىٰ الحلقات تربية الحفاظ علىٰ الزهد فيما عند الناس والاستغناء بالقرآن؛ تشتد الحاجة إلىٰ أن تقدِّم لهم البرامج التدريبية المتعلقة بالجانب العملي في اكتساب الرزق والتعفف، وأن تخلق جوّاً من المؤاساة يعينهم علىٰ الاستغناء بالقرآن.

---

(١) مسلم (٨٢٢).
(٢) شرح النووي ٦/ ٣٤٥.
(٣) التبيان ص٤٣.

- **التربية على الاعتدال والتوسط ونبذ الغلو والجفاء**: حتى لا تعود ظواهر الغلو من جديد، وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (أنكحَني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتَهُ -أي زوجة ابنه- فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ، فقال: «القني به». فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قلت: أصوم كل يوم. قال: «وكيف تختم؟» قلت: كل ليلة. قال: «صم في كل شهرٍ ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر». قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة». قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «أفطر يومين وصم يوماً». قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرة». فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ)[1]. فهذا توجيه من النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما على التوسط والاعتدال وإعطاء كل ذي حق حقه والتدرج والترفق بالنفس، وهكذا ينبغي على المعلمين في الحلقات أن يعملوا على إحداث الاتزان في حياة حافظ القرآن.

- **التربية على الاستقامة**: وترك المعاصي والنفور من المحرمات، قال الضحاك بن مزاحم: (ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ

(١) البخاري (٥٠٥٢).

فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى:٣٠]. ونسيان القرآن من أعظم المصائب)[١]. وهذه إشارة إلى مسؤولية التربية الإيمانية التي ينبغي العناية بها لطلابنا الحفَّاظ، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: (يا معشر القراء، استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)[٢].

- **التربية على القيام بواجب الدعوة وتبليغ القرآن:** قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[٣]. ولقد كان القراء من أصحاب النبي ﷺ والتابعين يتصدرون المبلغين دعوة الله إلى الأمة، وقد سماهم الله علماء في كتابه، فوجب عليهم الدعوة والبلاغ. لكن هذا الواجب لا يمكن للحفاظ أن يقوموا به ما لم تكن الحلقة تربيهم على ذلك، وعلى مهاراته وآدابه وضوابطه والاتزان فيه، وإننا بحاجة في هذا الزمن إلى إيقاد جذوة الدعوة إلى الله بشتى فنونها وتقنياتها في نفوس الشباب وفق منهج منضبط متوازن يجمع بين التأصيل والإبداع.

لما مات النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان علماء الصحابة وقراؤهم رسلاً من الخلفاء إلىٰ الأمصار، ليعلِّموا الناس دين الله ويبلغوهم دعوة الله، فأرسل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا موسىٰ الأشعري إلىٰ

---

(١) شرح السنة ٤/ ٤٩٥.
(٢) البخاري (٧٢٨٢).
(٣) البخاري (٣٤٦١).

البصرة مقرئًا وأميراً، وأرسل عبد الله بن مسعود إلىٰ الكوفة وأرسل أبا الدرداء ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت إلىٰ الشام، فأنشؤوا مدارس القرآن العظيمة التي ننهل من علومها إلىٰ اليوم.

- **ثالثًا: تعليم أحكام القرآن وتفسيره**

كان القراء من أصحاب النبي ﷺ عالمين بالتفسير والأحكام، بل كان تعليم التفسير والأحكام هدياً تعليميّاً يعمل به معلمو القرآن منهم، قال مجاهد: (عرضت القرآن على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ثلاث عرضات أَقِفُهُ عند كل آية)[1].

ومن العجيب أن هدي السلف رحمهم الله جرى على ألَّا يَشرع أحد في طلب العلوم والفنون إلا بعد أن يختم القرآن حفظاً، كما أوصى بذلك عبد الله بن عبيد بن عمير ابنَ جريج، حيث ذهب ابن جريج ليطلب العلم على عطاء فقال له عبد الله بن عبيد: قرأتَ القرآن؟ قال ابن جريج: لا. قال: فاذهب فاقرأه ثم اطلب العلم[2]. وقال ابن أبي حاتم الرازي: (لم يدعني أبي أشتغل في الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث)[3].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٥.

- **رابعـًا: توجيه الطاقات واستثمارها**

لا شك أن حفَّاظ القرآن الكريم لديهم مواهب مشتركة أَلَّف بينها حفظهم لكتاب الله، ككثير من مهارات التفكير، والمهارات اللغوية والفنية، غير أن كل طالب حافظ هو عبارة عن شخصية مستقلة ذات ميول واستعدادات تختلف عن شخصية الحافظ الآخر وَفْقاً لتأثيرات الوراثة والتنشئة والبيئة، وباجتماعها مع حفظ القرآن يرقى بالطالب لأن يكون قويّاً في جانب ما. وواجب المعلم اكتشاف كُنْهِ هذه الشخصية وطاقاتها وقدراتها والعمل على استثمارها.

وهذا شيخ المقرئين والفرضيين كما يسميه الذهبي[1] الصحابي الجليل زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو ممن حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ، وقد مرَّ بك خبره.

وإن جزءاً كبيراً من مشكلات حفاظ القرآن اليوم أنهم فاقدو البوصلة، وعلينا أن نعيد لهم هذه البوصلة المهمة، من خلال اكتشاف قدراتهم واستعداداتهم وذكاءاتهم، ومن خلال سماتهم الشخصية، ومن خلال ميولهم المهنية، ومن خلال اتجاهاتهم القيمية.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٦.

## ■ برامج رعاية الحفاظ

من خلال ما سبق يتبين لنا أهمية صياغة البرامج الخاصة برعاية حفاظ القرآن الكريم، وفي هذه الحال، وعند وجود القناعة الكافية لدى المؤسسة القرآنية بأهمية وجود هذه البرامج الخاصة فإنه يمكن أن يوصى بما يلي:

١. أن تكون رعاية الحفاظ أمراً مفهوماً متفَقاً عليه لدىٰ القيادات العليا في المؤسسة القرآنية، ويمكن ترجمة ذلك بوجود بنود خاصة بهذا الشأن في سياسات ولوائح المؤسسة.

٢. يتولىٰ الإشراف والتنظيم والتخطيط ودراسة الاحتياجات لبرامج رعاية الحفاظ نخبةٌ من التربويين ذوي العلم والخبرة، عبر إدارة مستقلة، وتُمنح لهم الصلاحيات اللازمة ليقوموا بهذا الدور علىٰ أفضل ما يمكن.

٣. صياغة منهجٍ تربوي إثرائي لرعاية الحفاظ صياغة علمية، منهجٍ يلبي احتياجاتهم الخاصة، ويواكب قدراتهم، ويكون مكمِّلاً للبرنامج التربوي المقدَّم لهم سابقاً. ولو بدأت بعض الحلقات بوضع قدمها في أول سلَّم رعاية الحفاظ مجتهدة ما استطاعت، وطورت من خبراتها فإنها بإذن الله ستصل إلىٰ القمة في هذا النوع من النشاط.

٤. تأهيل المعلمين الذين سيقدِّمون هذا البرنامج بعناية، وفق مقاييس علمية، وتُعَدُّ لهم الصلاحيات اللازمة والحوافز المشجعة.

٥. تهيئة البيئة التربوية الصالحة لاستيعاب واستقطاب حفاظ القرآن الكريم.

٦. ومما يقترح في هذا الإطار: إنشاء مؤسسات متخصصة في رعاية الحفاظ، تقوم بهذه المهام والتكاليف وفق أهداف وخطط، ويكون همُّ القائمين عليها رعاية الحافظ وتقويتهم وتربيتهم. ومما يمكن الاستفادة منه في هذا العمل سهولة التواصل عبر الشبكة الإلكترونية ومفهوم التعليم عن بعد. حتىٰ لا تضيع جهود المؤسسات القرآنية السالفة هباء.

# الحلقات وأنماط المتعلمين

استعرضنا فيما سبق السيرة التعليمية والإنتاجية للصحابي الجليل زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رعاية الحفاظ والموهوبين، ويمكن أن يستضاء بتلك السيرة العطرة في مسألة أنماط المتعلمين؛ فقد استطاع ﷺ بحاسته التربوية أن يحدد مسار هذه الشخصية وقدراتها وميولها، فأمره أن يتعلم لغة اليهود، فحذِقها في نصف شهر فقط، ثم أتقن بعد ذلك عدداً من لغات العالم، وأهمها الفارسية والرومية، وكان من نتائج الاهتمام بهذه الشخصية في ذكاءاتها المتنوعة أن برع زيد في ثلاثة أمور: إتقان وضبط القرآن، وتعلُّم اللغات، وإتقان الفرائض.

## ■ التنوع سنة كونية وواقع تربوي

التنوع سنة كونية، أوجده الله في البشر والحجر والشجر وفي سائر مخلوقاته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

وكما يقع التنوع في الأشكال، فكذلك يقع في الجوهر: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث المتقدمِ ذكرُه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، أَلَا وإن لكل أمة أميناً؛ وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1].

وحين تطالع سيَر أصحاب رسول الله ﷺ فإنك تجدهم مشارب شتى وشخصيات متنوعة، فلم يكونوا على هيئة واحدة، ولا على اهتمام واحد، ولا على عمل واحد، كانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتنوعون في الأعمال الصالحة التي تقرِّبهم من الله؛ كما يتنوعون في طرق معاشهم، وكان النبي ﷺ يدعم هذا التنوع بتوجيهاته المتنوعة التي غالباً ما كانت تناسب حال السائل أو المستفيد من هذا التوجيه، ومن توجيهاته ﷺ الجامعة قوله: «اعملوا فكل ميسَّر لِـمَا خُلِق له»[2].

كان زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شخصية تنفيذية تميزت بالإنجاز والإتقان فيما يوكل إليها من المهام ذات الشأن العام والخطير والمؤثر، لكنه لم يكن من الشخصيات العسكرية كخالد بن الوليد، ولا من الشخصيات القيادية كأبي بكر الصديق أو وعمر بن الخطاب،

---

(١) الترمذي (٣٧٩١).
(٢) مسلم (٢٦٤٧).

لا لقصور فيه، وإنما الشخصيات هكذا: أنماط مختلفة متنوعة لحِكَمٍ يريدها الله تعالى، ومن هذه الحِكم: التكامل والشمول اللذان يتوافران مع التنوع. أما على الشأن الفردي فقد كان زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينجز إنجازاً فوق المتوقع من أمثاله وأقرانه.

شخصية زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمكن تشبيهها بمنجمٍ للذهب والجواهر، لكنك لا تستفيد من هذا الذهب والجواهر إلا إذا أطلقت عليه العمَّال المهرة ليخرجوا كنوزه. يتضح ذلك جليّاً من استفادة الخلفاء الراشدين منه واستثمارهم لطاقاته، فأبو بكر يكلِّفه بكتابة القرآن في الصحف، وعمر يكلِّفُه بالقضاء والفتيا والإقراء، وعثمان يكلفه بنسخ المصحف، وكلام أصحاب النبي ﷺ والتابعين عنه يصب في هذا المعنى.

كما يمكن تشبيه تلك الشخصية بعقارب الساعة في سيرها المنتظم الدقيق والمحكم، والمنطلقة أيضاً إلى الأمام، وهذا النمط من الشخصيات هو القادر على الإنجاز في الأعمال الخطيرة والكبيرة، لارتباطها بالوقت والهدف ومنهجية العمل، لكن ذلك يتطلب منه أن يشاركه آخرون في الإدارة والقرارات والرؤى البعيدة.

الجدير بالذكر أن الناس ليسوا كلهم على هذه الصفات أو بعضها، لذا حين عزم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جمع المصحف؛ اختار زيداً لهذه المهمة المعقدة، وقال له: (إنك شاب عاقل لا نتهمك،

وقد كنت تكتب الوحي للنبي ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه). لم تكن المهمة سهلة على زيد، فهو يقول: (فوالله لو كلَّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن)[1]. فزيد يعلم ماذا يعني نقل جبل! إنه يعني نقل صخوره وحجارته، دون إنقاص حجرة أو صخرة منها، ووضع كل من هذه الصخور والحجارة في مكانها الصحيح الذي كانت عليه؛ لِيبدو الجبل المنقول كهيئته قبل أن يُنقَل، لقد كانت مهمة جمع القرآن وتتبُّعه أشبه بذلك، ولا يجيد هذا المستوى من الدقة والإنجاز والإتقان والضبط وطول النَّفَس أحدٌ كما يجيده زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولكل شخص مساره الذي هيَّأه الله له، وإن على المربي أن يتعرف هذا المسار ويضع أقدام الطالب عليه، لينطلق في أمان ونجاح.

وقد تطرَّق فقهاء التربية الإسلامية إلى الاهتمام بهذه المسألة، أعني تنوع المتعلمين، قال الخطيب البغدادي: (ومن الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبهاً بغيره لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع)[2]. وأشاروا إلى أن يتفهم المعلم شخصية

---

(١) البخاري (٤٩٨٦).

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/ ٢١٥.

الطالب، قال ابن جماعة: (ولا يشير على الطالب بتعلم ما لا يتحمله فهمه أو سِنُّه، ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه، فإن استشار الشيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشر عليه بشيء حتى يجرِّبَ ذهنه ويعلمَ حاله)[1]. ويحذِّر ابن حزم من تعليم مَن لا يصلح له، قال: (نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمى، أو كتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء)[2].

## ■ تنوع الذكاء من تنوع الأنماط

ذلك؛ وإن اختلاف أنماط المتعلمين أمر واقع وله حقيقة ملموسة، وإن الحلقة الناجحة تراعي هذا الاختلاف، وتستطيع أن تجعل منه مدخلاً صالحاً من مدخلات العملية التربوية؛ ذلك أن النفس الإنسانية تتأثر بالدرجة الأولى بعاملَين رئيسيين: البيئة والوراثة، وكل شخصية من شخصيات الطلاب هي عبارة عن خلطة مركبة من هذين المكونين؛ اللذين هما في كل منهما عبارة عن خلطة بذاتها، لتخرج لنا في نهاية المطاف شخصية ذات بصمة خاصة تميِّزها عن غيرها، ولو اشتركت معها شخصيات أخرى في بعض القواسم.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٩.
(٢) الأخلاق والسير ص٨٨.

وفي حال تمكنت الحلقة من توجيه الطالب توجيهاً صحيحاً يوائم نمط شخصيته؛ فإن النجاح سيكون حليفاً لهذا العمل التربوي بإذن الله، ودليل هذا النجاح أن تنظر الحلقة إلى عموم طلابها بصفتهم أذكياء!

ويعرَّف الذكاء بأنه القدرة على حل مشكلات، أو إبداع نتاجات ذات قيمة، في بيئة ثقافية أو أكثر، كما يعرِّفه صاحب الذكاءات المتعددة «هوارد قاردنر»[1]. فهو مفهوم أوسع يشمل العنصر الإنساني إذا أحسنَّا توجيهه، وبهذا المفهوم ترتفع نسبة الطلاب الأذكياء في الحلقة الواحدة.

قاردنر أيضاً يؤكد على دور المحيط على الإنتاج؛ يقول: (الابتكار لا ينبغي أن يُنظَر إليه على أنه مستقر -أساساً- في الدماغ أو العقل أو شخصية إنسان بعينه، لكنه ينبغي النظر إليه بوصفه ينبثق من تفاعلات ثلاثة عقد: الفرد بهيئة كفاياته وقِيَمِه، والميدان المتاح للدراسة والتمكن ضمن ثقافة ما، ثم الأحكام التي يطلقها حقل معترَف بتخصصه وكفايته داخل الثقافة)[2]. قارن هذا بمشروعَي جمع القرآن الكريم الذي قام به زيد بن ثابت في عهدي أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقبل ذلك قارنه بحفظ زيد بن ثابت للقرآن وتعلُّمه اللغات وإتقانه علم الفرائض على عهد النبي ﷺ.

---

(١) أطر العقل ص٢١.

(٢) أطر العقل ص٣٢.

حين تكون الحلقة بيئة صحية سيكون الطلاب على اختلاف مشاربهم أذكياء؛ هذا ما حدث لأصحاب النبي ﷺ بين يديه فقد كانوا أدوات إنتاج وإنجاز، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، وهذا يتفق تماماً مع قول النبي ﷺ : «كلٌّ ميَسَّر لما خُلِق له»[1]. هذا مدخل مهم في تخطيط الحلقات القرآنية.

### ■ الطلاب كثير والحفاظ قليل

ليس كل الطلاب قادرين على حفظ القرآن الكريم، فإن الحفظ مترتب على نوعِ ذكاء واستعداد ومناخ وظروف، ولهذه الأسباب فالذين حفظوا القرآن كلَّه جميعاً على عهد النبي ﷺ قليلون. قال قتادة: (سألت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد). وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد)[2].

وقد عدَّ الذهبي في الطبقة الأولى من القراء الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ سبعةً من الصحابة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت،

(١) البخاري (٧٥٤٧)، ومسلم (٢٦٤٩).
(٢) البخاري (٥٠٠٣، ٥٠٠٤).

وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، ثم قال: (فهؤلاء هم الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ، وأخذ عنهم مَن بعدهم عرضاً، وعليهم دارت الأسانيد بالقراءات العشر، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ، وأبو زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم)[1].

كما أن صحابةً أكابر حفظوا بعضه، لكنهم لم يُتموا حفظه كاملاً، قال ابن سيرين: (مات أبو بكر، ولم يجمع القرآن)[2]. ولا يعني ذلك قصوراً فيمن لم يتم حفظه، فكل الذين أتموا حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ لا يبلغون رتبة أبي بكر الصديق في الإيمان والفضل، وبهذا تكون مسألة حفظ القرآن «كاملاً» مسألة تخصصية تدخل في باب فروض الكفايات، ولها رجالها، ولا يطالَب بها الجميع. نعم؛ يطالب الجميع بحفظ ما يتيسر من القرآن كالمفصَّل، أو الزهراوين: البقرة وآل عمران، ونحو ذلك، كما كان مجموع الصحابة على هذا الحال، لكن مسألة حفظ القرآن كاملاً لا يستطيعها إلا نخبة من الطلاب، وعليه؛ يُقترَح أن تتوجه برامج الحفظ وفق هذا المنظور الذي أسلفناه: حدٌّ أدنى من القرآن يطالَب به الجميع، وبرنامج نخبوي لحفظ القرآن كاملاً.

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ١٢٥. وفي فتح الباري ٨/ ٦٦٨ تعقب وإيرادات علىٰ أثر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عدد الذين جمعوا القرآن، وانظر أيضاً: البرهان للزركشي ١/ ٢٤١. والله أعلم.

(٢) الطبقات ٣/ ١٩٣. قال السيوطي: سنده صحيح (الإتقان ١/ ١٤٤).

ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: (سألني عمر: كم معك من القرآن؟ قلت: عشر سور، فقال لعبيد الله بن عمر: كم معك من القرآن؟ قال: سورة. قال عبد الله: فلم ينهنا ولم يأمرنا غير أنه قال: وإن كنتم متعلمين منه بشيء فعليكم بهذا المفصل؛ فإنه أحفظ)[1]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جمعت الـمُحكَم في عهد رسول الله ﷺ. قال سعيد: فقلت له: وما المحكم؟ قال: المفصل)[2].

كما يُقترَح على الحلقة أن تكثف برامجها المعنيَّة بحفظ القرآن الكريم كاملاً وضبطه للنخبة من الطلاب المهيَّئين لذلك، وفي المقابل تقوم بصناعة البرامج التربوية لأولئك الكثرة من الطلاب، الذين لا تساعدهم قدراتهم على الحفظ الكامل للقرآن الكريم وضبطه، البرامج التي تنمي مواهبهم وتصقل شخصياتهم وتعتني بقدراتهم وتجعل منهم أدوات إنجاز وإنتاج؛ كلٌّ في مساره الشخصي.

## ■ دَور الحلقات في توجيه المتعلمين

يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: ما هي الأدوار التي يمكن للحلقة أن تقدِّمها في إطار التوجيه الصحيح لأنماط المتعلمين المتنوعة؟ وإجابة عن ذلك: يمكننا القول بأن الحلقة القرآنية بيئة مناسبة للتوجيه الصحيح لأنماط المتعلمين المتنوعة؛ إذا قامت بالأدوار الآتية:

---

(١) مصنف بن أبي شيبة (٣٠٠٨٧).
(٢) البخاري (٥٠٣٦).

### ١. الاكتشاف:

أول دور يمكن للحلقة القيام به في واجبها التربوي تجاه أنماط المتعلمين المتنوعة هو السعي لرسم صورة ذاتية للطالب؛ تتضح فيها معالم شخصيته ومحدداتها وميولها وذكاءاتها، فيكون عارفاً بنفسه. وهذا حجر أساس في التربية الرشيدة، إنها إجابة عن السؤال الكبير للطالب: من أنا؟

إن الكثيرين لا يعرفون ذواتهم في سنِّ الطلب، ولا يدركون أبعاد نفوسهم ولا محدداتها، فتجدهم يتخبطون في التيه، وتطويهم سنوات عمرهم الذهبية دون تحصيل يُذكر أو إنتاج يستحق الإشادة. قال الماوردي: (وإذا كان العالِم في توسُّم المتعلمين بهذه الصفة، وكان بقدر استحقاقهم خبيراً؛ لم يضِع له عناء، ولم يخِب على يديه صاحب، وإن لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإيَّاه في عناء مُكْدٍ، وتعب غير مُجْدٍ، لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة، وبليد يكتفي بالقليل، فيضجر منه الذكي، ويعجز عنه البليد، ومن يردد أصحابه بين عجز وضجر ملُّوه وملَّهم)[1].

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٦٦.

**٢. حرية التجريب:**

طالب الحلقة بحاجة إلى مناخٍ تربوي محفِّزٍ وآمن، مناخٍ متفاعل متحرك، يستطيع أن يجرب إمكاناته وقدراته دون لوم أو تقريع، بل دون أن يشعر المربي نفسُه بأنها حالة تمرد وانفلات، وعليه -أعني المعلم- أن يطمئن لهذه الحالة ويحتويها ويشجعها وينميها باعتبارها صحيَّة وليست مرضية؛ فإن الطالب يتوجه تلقائياً -وإلى حدٍّ كبير- مع بوصلته الصحيحة؛ إذا كان اختياره حرّاً مجرداً من المؤثرات والضغوط، يحكي عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قصته مع النبي ﷺ وأبي بكر حين كان يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط، وفيها أنه قال للنبي ﷺ: علمني من هذا القول. فقال النبي ﷺ: «إنك غلام معلَّم». قال: فأخذت من فِيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[١]. وقوله ﷺ: «معلَّم» يعني: ملهَم للصواب والخير[٢].

لا مانع من تجريب الطالب لذاته بعد اكتشافه، على ألَّا تغفل عين المعلم عن ملاحظته، فلعل الله يفتح عليه ما لم يفتح على معلميه، أو يكون على يديه سدُّ ثغرة لم يستطع معلموه سدَّها.

قد يخشى المعلم من وقوع الطالب في الخطأ. لكن إذا علمنا أن الخطأ يستفاد منه تربويّاً في التصحيح والتوجيه، فلا داعي للقلق من

(١) الطبقات ٣/ ١٣٩.
(٢) النهاية ٣/ ٢٩٢.

الأخطاء؛ ما دامت في الحدود المعقولة، وسيكون ذلك مفيداً في نمو الشخصية الإيجابية.

### ٣. التوجيه:

لا يزال بعض المعلمين يظن أن دوره في حلقته لاعب الشطرنج، فهو ينقل القطع بيده كيف شاء ووَفْقَ ما يمليه عليه تفكيره، فهو لا يزال يمارس هذا الدور في حين يرىٰ بأم عينيه تراجع طلابه واحداً تلو الآخر. وإن من أدوار المربي المهمة: التوجيه، والمقصود بالتوجيه هنا هو أن يحافظ المعلم علىٰ بوصلة الأهـداف بغضِّ النظر عن المسارات، والتوجيه بهذا المعنىٰ يعطي الطالب حرية الحركة، وفي الوقت نفسه يؤمِّنه من الانحراف، إذ يؤطِّر المربي هذه المسارات، فإذا ما حاد الطالب عن مجموعها وأصبح خارج مربع الاجتهادات السائغة، فإن دور المعلم التوجيهي الرفيق سيكون له تأثير إيجابي في بناء شخصيته وتنميتها.

### ٤. الاستثمار:

«تعلَّم لي كتاب يهود، فإني لا آمنهم علىٰ كتابي». في هذا الأمر المعلَّل يتضح استثمار الأنماط الشخصية في أروع صـوره، فهو ليس مجرد توجيه نحو المسارات المناسبة، بل هو إفـادة المربي من قدرات الطلاب المتنوعة، التي بإمكان كل واحد منهم أن يقدِّم

لدينه من خلالها. علىٰ الحلقة اليوم أن تتجاوز مسألة التوجيه إلىٰ رتبة الاستثمار النافع لقدرات الطلاب واستعداداتهم لخدمة القرآن والشريعة الإسلامية وخدمة المجتمع المسلم، وأن تدرِّبهم -خاصة الكبار- علىٰ صناعة المبادرات والعمل في المشاريع النافعة، وذلك بتوفير مناخ ملائم ومساحة حرة للتجريب، وتوجيه جيد.

# معلمو القرآن، التأهيل والإعداد

قال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[القلم:١-٤].

قال ابن جرير: (ذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه)[١]. وقال ابن كثير: (ومعنى هذا أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له وخُلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجِبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل)[٢].

ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ قالت للسائل: (ألست تقرأ القرآن؟) قال: بلى. قالت: (فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن)[٣]. تشير إلى المعنى الذي نقلته هنا عن ابن جرير وابن كثير؛ أي أن النبي ﷺ كان يتمثل آداب وأحكام وأخلاق القرآن، فهو غاية الأخلاق والآداب.

---

(١) جامع البيان ٢٩/ ١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٨٩.

(٣) مسلم (٧٤٦).

نزلت ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ في سياق الدفاع عن المعلم والمربي محمد ﷺ، إذ يصفه جهلة القوم بأنه مجنون، ولقد حاول المشركون أن يلصقوا به ﷺ بعض الأوصاف التي تجعل منه شخصاً غير مؤهَّل لحمل رسالة ربانية، وغير صالح لتبليغها للناس، فقال الله عز وجل: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. فأنت على صفات تؤهلك لحمل الرسالة الربانية، وتكون بها صالحاً لتبليغها للناس، ولو لم تكن على هذه الصفات لما كنت مؤهلاً للقيام بأدوارك الرئيسية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:٢].

قال ابن عاشور: (واعلم أن جُماع الخُلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين ومعرفة الحقائق وحِلم النفس والعدل والصبر على المتاعب والاعتراف للمحسن والتواضع والزهد والعفة والعفو والجمود والحياء والشجاعة وحُسْن الصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحُسْن المعاملة والمعاشرة)[1].

وقصدت من هذا حشد أقوال المفسرين في الآيات التنبيه إلى أن حمل القرآن وتبليغَه للناس يستدعي خُلُقاً عظيماً من الآداب والعلوم والأحكام والصفات تتمثل في شخص حامل القرآن ومبلِّغه، ليقوم بدوره في تعليم كتاب الله وتلاوته على الناس وتزكيتهم به.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٦٤.

وبفضل من الله ثم بفضل الرغبة الصادقة في تحسين الأداء التعليمي الذي تضطلع به الحلقات القرآنية؛ قامت المؤسسات القرآنية خلال العقدين الماضيين بتدريب معلمي الحلقات على مجموعة من المهارات اللازمة لإدارة الحلقات وفنون التواصل وطرق التدريس، ولا شك أن هذا الأمر انعكس إيجابيّاً على أداء الحلقات في العموم، إذ كان المعلمون بحاجة إلى التدريب لأسباب عديدة، لعل من أهمها: الفجوة الواضحة بين مُشَكِّلات شخصية المعلم ومُشَكِّلات شخصية الطالب، التي كان التحول المتسارع لأنماط الحياة مسبباً لاتساعها، وربما يعدُّ هذا السبب مع غيره مولِّداً لأكثر الأسباب.

ولا يزال المعلمون بحاجة إلى مزيد من التأهيل والإعداد، فبالرغم من وجود التدريب في المؤسسات القرآنية إلا أن هناك شكوى مشتركة من الإشكالات التعليمية والتربوية التي ربما تنشأ من المستجدات النفسية والاجتماعية.

ومعلم الحلقة القرآنية هو حجر الزاوية في عمليات التربية والتعليم، ولا غنى عن وجوده وسيطاً رئيساً لنقل وغرس المفاهيم والقيم والمعارف، ولذا ينبغي أنْ توجِّه المؤسسة بؤرة اهتمامها إليه.

وفي كلام لأبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله[1] في معرض مقارنته بين أشياخه وآخرين، نقلْته هنا لتدرك كم هو الأثر البالغ الذي سيصنعه

(١) صيد الخاطر ص١٠٩.

المعلم. يقول: (ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يُسمَع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان -وأنا صغير السن حينئذٍ- يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد الأدب في نفسي، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل! ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً، وربما سُئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتقن، وكان كثيرَ الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما).

ومن خلال نصوص القرآن سيتبين لنا كيف أدَّب الله نبيه ﷺ لإعداده لحمل الرسالة وتبليغها، من خلال أطرٍ عامة تمثل جوانب في الإعداد والتأهيل التي أرى أنه يمكن أن تتمثلها المؤسسات القرآنية، لتقوم بإعداد وتأهيل المعلمين في ضوئها، ومن خلال تفاصيل هي عبارة عن أمثلة لهذه الأطر.

## ■ أطر تأهيل وإعداد معلمي الحلقات

### - الإعداد الإيماني

جانب من التربية القرآنية التي تلقَّاها النبي ﷺ من ربه تركز على إعداده إيمانياً؛ ذلك أن الإعداد الإيماني يمثل الزاد الروحي الذي

يغذِّي القلب ويُبقي على حياته في المدلهمات والنوائب، ويضيء له الطريق في مسيرته البلاغية والتعليمية.

آياتٌ تحثُّه على الاستكثار من الطاعات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[الشَّرح:٧-٨]. قال الحسن وزيد بن أسلم: (إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك). وقال مجاهد: (إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصلِّ).

وفي الآية الأخرى؛ يقول الله تعالى بعد ذكر محاولة المشركين فتنهم النبي ﷺ عمَّا أوحى الله إليه: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩]، إنه سبحانه يأمره بالتزوُّد لمثل هذه المواقف برصِّ القدمين بين يديه والتوجه بقلبه إليه، مصلِّياً وتالياً وذاكراً.

وفي سورة الإنسان يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٣-٢٦].

وفي سورة الطور أمر الله نبيَّه ﷺ أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة[1] فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٧٢٩.

حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[الطور:٤٨-٤٩]. أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل[1].

بل وصل الحال في التربية القرآنية على العبادة أن فرض الله تعالى قيام الليل مدة من الزمان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[المزَّمل:١-٦].

إنَّ الإعداد الإيماني لمعلِّمي القرآن الكريم لهو أُسُّ التأهيل، حيث الحاجة إلى أن يتصل معلم القرآن بالله تعالى، بذكره وعبادته، اتصالاً دائماً، وأن يستشعر الفضل والأجر وما أعده الله له في الآخرة، وحيث الحاجة إلى أن يكون متورعاً عمَّا حرم الله، ليصح الاقتداء به، ولتثبيته على عمله، ولتحفيزه إلى مزيد من الأداء وخدمة كتاب الله.

- **الإعداد المنهجي**

وأعني بالإعداد المنهجي: التربية على ما ينبغي أن يكون عليه معلِّم القرآن من فهمٍ راسخٍ لمفاهيم القرآن الكريم وتصوراته وقيَمه، وتمسُّكٍ بها وثباتٍ عليها. وهو الأمر الذي سينعكس على سلوكه ومواقفه في مختلف مناحي حياته ومواقفه التعليمية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٤٠.

وتكمن خطورة هذا الإطار في كون شخصية المعلم محلَّ اقتداء ونظر من تلاميذه ومجتمعه، كما أن مواقفه محلُّ تقويم وانعكاسات، ولكون المفاهيم والتصورات تعدُّ من أهم الأمور التي جاء القرآن بتصحيحها ومعالجتها.

لم يسلم النبي ﷺ من محاولات المساومة على دينه ورسالته من قِبَل معارضيه، وهي محاولات كثيرة ومتنوعة؛ كان النبي ﷺ يحتاج أثناءها إلى التوجيه الرباني، وكان بحاجة إلى التثبيت؛ حتى لا تزلَّ به القدم، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٧٣-٧٥]. قال ابن جرير: (ولولا أن ثبتناك يا محمد بعصمتنا إيَّاك عمَّا دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة، لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئاً قليلاً)[1]. فمن باب حاجة معلمي الحلقات إلى تثبيب وعصمة تمنعهم من الوقوع في الزلل وحبائل الشبهات.

وفي آيات عديدة ينهى الله تعالى نبيَّه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، ويحثُّه على التمسك باتباع الوحي، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

(١) جامع البيان ١٥/ ١٣١.

حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[الأحزاب:١-٣].

وفي موضع آخر يحذِّر الله تعالى نبيَّه ﷺ من جهالة العقل والاستجابة لاستفزازاتهم، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم:٦٠]. قال البغوي: (لا يحملنَّك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي)[1]. وقال السعدي: (فإنك إن تجعلهم منك على بال، وتحْذَر منهم، وإلا استخفوك، وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا، وتطلب التشبه والموافقة)[2].

وفي موضعٍ آخر يأمر الله نبيه ﷺ بالصبر، وينهاه عن استعجال العقوبة عليهم، فيقول تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[الأحقاف:٣٥]. قال البغوي: (ولا تستعجل العذاب لهم ، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر، فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأُمر بالصبر وترك الاستعجال)[3].

وحذر القرآن من الوقوع فيما وقع فيه المنسلخون، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) معالم التنزيل ٣/ ٥٠٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣/ ١٣٤٥.
(٣) معالم التنزيل ٤/ ١٥٠.

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦].

أما إذا عدنا لسيرة سعد بن أبي وقاص السابقة فإننا سنلحظ بوضوح الاطراد والثبات في مناحي حياته المتنوعة.

- **الإعداد النفسي والاجتماعي**

وكما أن معلِّم القرآن بحاجة إلى إعداد إيماني ومنهجي، فهو كذلك بحاجة إلى إعداد يصل به إلى مرحلة جيدة من الاستقرار النفسي والاجتماعي، والاعتدال والإيجابية، إذ تؤثر ضغوطات الحياة تأثيراً سلبيّاً على أدائه التربوي والتعليمي، وعلى المؤسسات القرآنية أن تلتفت إلى هذا الجانب، لأن استقرار المعلم نفسيّاً جزء من استقرار العمل التربوي والتعليمي.

ولقد كانت العناية الإلهية بنفس محمد ﷺ وذاته من الوضوح بمكان؛ ففي سورة الضحى يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[الضحى:١-٣]. أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ ربَّاك ورعاك، بل لم يزل يربِّيك أكمل تربية، ويعليك درجة بعد درجة[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٩٧٦.

معاناة البلاغ تكدِّر الخاطر وتضيق الصدر، والله يمتن على نبيِّه ﷺ بتليين قلبه وشرْح صدره فيقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشَّرح:١-٤].

في إحدى اللقاءات مع معلمي القرآن الكريم قام أحد المعلمين، هو أكبرهم سناً، وتساءل عن شيء يعمل في صدره، وفي الحقيقة أنه يعمل في صدور كثير من معلمي القرآن الكريم، فقال: لماذا لا نجدُ -يقصد معلمي القرآن- تقديراً لما نقوم به، سواء هنا في بلدكم أو في غيره من البلدان، فإن معلمي القرآن هم أقل الناس شأناً وذكراً وقدراً.

لم أُصدَم بهذا التساؤل لأنني أقرؤه كثيراً في صدور معلمي الحلقات الذين ألتقي بهم، فوافقته على توصيفه للواقع، وذكَّرته بما ذكر الله نبيه ﷺ به حيث قال في سورة الضحى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضُّحى:٤-٥]، وذكَّرته بفضله وفضل معلمي القرآن عموماً. كان حديثي أشبه ما يكون بحديث العزاء والتسلية، إنه يتساءل بعد عشرات السنين التي أمضاها ممسكاً بكتاب الله تعالى معلِّماً أولاد المسلمين، ثم هو لا يجد في الدنيا ما يحفزه لمواصلة مسيرته التعليمية. لم أنسَ تلك اللحظات: كنتُ أتحدث عن الفضائل والأجور التي أعدَّها الله لمعلمي القرآن؛ وهو يمسح دموعه من عينيه! إن على المؤسسات القرآنية أن تعتني بهذا السؤال، وأن تجيب عنه عمليّاً، ولا حرج في ذلك، فهو لا ينافي

التربية على الإخلاص، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ في سورة الشرح: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. أي أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي[1]، فالله تعالى يبيِّن أنه آتاه شيئاً من ثواب الدنيا، في حين لا يشك أحد في أنه ﷺ أخلص الناس لله. وإذا كان الرسول ﷺ وهو المؤمن الذي بلغ منزلة اليقين بحاجة إلى مؤازرة، فغيره من باب أولى. أدرك ذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان مؤازراً للنبي ﷺ بماله وأهله، فأثنى عليه النبي ﷺ وقال: «إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر»[2].

ولقد اعتنى الله بنبيه ﷺ في شتى مجالات حياته، حتى في دقائق وتفاصيل حياته الزوجية، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم: ٤-٥].

وحين أغرَقتْ معاذَ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ديونُه، وهو الذي جمع القرآن الكريم، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن لعله يغتني بالمال هناك، وذلك بعد أن كلم غرماءه فيه[3] وأمره أن يعلِّم الناس هناك القرآن الكريم[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٩٧٨.
(٢) البخاري (٣٦٥٤).
(٣) انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٣١.
(٤) المسند (١٩٥٤٤).

- **الإعداد المهني**

إعداد المعلمين مهنياً أمر بالغ الأهمية، حيث ضمانة تحقيق الهدف التربوي والتعليمي بإذن الله، ولقد ظهرت عناية الله تعالى بنبيه ﷺ إعداداً يرتقي بأدائه البلاغي والتعليمي.

ففي مسار التواصل والتفاعل الاجتماعي؛ نجد أن الله تعالى امتن على نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]. وهذا يقتضي أن الله ربى نبيه ﷺ على هذا الخلق العظيم في التواصل، كما عاتبه الله تعالى حين عبس في وجه صاحبه الأعمى، فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[عبس:١-١٠]، فعلَّم الله تعالى نبيه ﷺ أن يُقبل على من أقبل عليه، وألَّا يقدِّم عليه من هو معرض عنه. ولم يخفَ هذا الاستنباط على السعدي، أعني أنه لم يخف عليه وجوب اتباع النبي ﷺ فيما أدَّبه الله تعالى به فقال: (أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات: الاقتداء بأخلاقه الكريمه، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحُسْن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٥٥.

وفي مجال الطرائق التربوية والتعليمية، قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٦-١٩]. وفيه تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقِّي الوحي من الملَك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملَك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملَك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسر له أداءه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبيِّنه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه[1].

هذا، والمقصود هنا الاستدلال على أهمية الإعداد المهني لمعلم القرآن، ليؤدِّي رسالته على أحسن وجه، كما أعدَّ الله نبيه ﷺ فأدى رسالته على أحسن وجه، وبهذا يعلم أن التدريب المهاري على فنون إدارة الحلقات والمجموعات ومهارات التواصل والاجتماع وطرق التدريس والأداء منهج أصيل.

- **الإعداد القيادي**

رغم ما عليه النبي ﷺ من مقومات التأثير الشخصية والخُلقية إلا أن الله تعالىٰ تعاهده بعنايته ليصل إلىٰ أعلىٰ مقامات التأثير والجاذبية، فهو سبحانه يأمره أن يشاور أصحابه، قال تعالىٰ:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٧٨.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[آل عمران:١٥٩]. كما يأمره بالتنفيذ حين العزيمة والانتهاء من الشورىٰ، والعجيب أن هذه الآية نزلت تعقيباً علىٰ ما حدث في غزوة أحد، التي أشار فيها بعض المسلمين خطأً بالخروج إلىٰ المشركين وقتالهم خارج المدينة؛ خلافاً لرأي النبي ﷺ.

وقد أكثر القرآن من ذكر قصص الأنبياء والدعاة والمصلحين من الأمم الماضية لِمَا في قصصهم من عبر ودروس، قال الله تعالىٰ في سورة القصص: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[القصص:٣]. وقد كان الدرس القيادي في هذه القصص أحد الدروس البارزة، وقد حوت أساليب الحوار والخطابة وإيراد الحِجج والإقناع والشعور بالثقة وغيرها، والمقصود الاستدلال علىٰ أهمية الإعداد القيادي لمعلم الحلقة، حتىٰ يبلِّغ رسالته القرآنية علىٰ أحسن وجه.

- **الإعداد العلمي**

من أهم ما يؤهَّل به معلم القرآن الكريم ليؤدي رسالته القرآنيه: تعليمه، وتزويده بالمعارف اللازمة لمادته، والامتدادات المعرفيه المتعلقة بها، ولعل من نافلة القول: إنه ينبغي أن يكون معلم القرآن متقناً مجوِّداً القراءة، حافظاً ما يقرئه تلاميذه، وإن مما ينبغي أن يتعلَّمه:

تفسير الحد الأدنى من القرآن الكريم كتفسير سور المفصَّل، وبعض مباحث العقيدة والفقه والحديث وعلوم القرآن وأصول التفسير.

وإن مما ينبغي أن يتعلمه: مهارات التعلم والبحث العلمي والقراءة.

وإن مما ينبغي أن يتعلمه: ما يحتاج إليه من العلوم الاجتماعية والنفسية، بسبب الحاجة إليها في تربية الطلاب وإدارة الحلقة.

وإن مما ينبغي أن يتعلمه: ما يحتاجه من فقه الواقع والمعالجات الفكرية للقضايا التي يتناولها المجتمع.

وإن مما ينبغي أن يتعلَّمه: استثمار التقنية الحديثة في تعليم القرآن، وطرائق «التعليم عن بعد».

لقد امتن الله على نبيِّه بتعليمه، فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣]. قال السعدي: (وهذا يشمل جميع ما علَّمه الله تعالى. فإنه ﷺ، كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[الشورى:٥٢]، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[الضُّحى:٧]. ثم لم يزل يوحي الله تعالى إليه، ويعلِّمه ويكمِّله، حتى ارتقى مقاماً من العلم، يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها)[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٣٥٤.

وأول كلمة في أول آية من أول سورة نزل بها جبريل على النبي ﷺ كانت «اقرأ» لترفع من شأن التعلُّم في مسيرة المبلِّغ عن الله تعالى، وتتحمل المؤسسات القرآنية الاعتناء بإعداد المعلمين علميّاً وأن تجعل منهم أدوات وعي متوهجة ومتحركة في المجتمع.

■ **المعلمون الأضياف**

في بعض المؤسسات القرآنية يكثر عدد معلمي القرآن الكريم من غير أهل البلد، ممن فضلوا العيش في غير بلدانهم، إما بسبب الاضطراب الذي تعيشه أقطارهم، أو المستوى المعيشي المتدني الذي ألجأهم إلى ترك أقطارهم بحثاً عن لقمة العيش، وبعضهم أحضر أهله معه، والبعض الآخر لم تسعفه ظروفه المعيشية أن يحضرهم، وأيّاً ما كان الأمر، فإن عدداً كبيراً منهم ينتشر في أروقة المؤسسات القرآنية ويقوم على تعليم فلذات الأكباد، ويقوم بالفرض الكفائي بيننا.

وأود التنبيه هنا إلى نقطتين مهمتين:

**الأولى**: ما يتعلق بواقع هذه الشريحة من المعلمين؛ فهم غرباء على المجتمع الذي يعلِّمون فيه، يعيشون آلام الغربة، ويخفون آلام الفقر، غير أنهم يملكون كنزاً عظيماً هو القرآن الذي يحملونه في صدورهم، وبين أيديهم يجلس النشء، وهم متفرغون لتعليمهم، فضلاً عن كونهم ضيوفاً؛ هذا ما ينبغي استحضاره في التعامل معهم.

والتعامل معهم على أنهم مجرد موظفين لدى المؤسسة القرآنية يؤدون عملاً تكليفيّاً مقابل أجرة يتقاضونها نهاية كل شهر، أو أنهم معلمون «أجانب!» ليس لهم ما للمعلمين من أهل البلد من التقدير والاحتفاء والاهتمام والرعاية، أو تكليفهم ببعض الأعمال التي لا يليق أن يكلَّف بها أهل القرآن، كل ذلك يعد إساءة وقصوراً في استثمار فرصة وجودهم في تلك المجتمعات.

**الثانية**: إعداد رؤية استراتيجية للمعلمين الأضياف، فهم الآن في أكناف المؤسسات القرآنية، يعلِّمون الناشئة القرآن، وهذا يدفعنا إلى مزيد من الاهتمام والعناية بهم وإعدادهم إعداداً يؤهلهم لتربية الناشئة في الحلقات، والارتقاء بهم من كونهم ملقِّنين إلى أن يكونوا مربين؛ وفق برنامج يصمم علمياً.

وهم الآن غرباء وافدون، وسيأتي اليوم الذي سيرحلون فيه إلى بلدانهم، وهذا يدفعنا إلى العناية بتربيتهم وإعدادهم ليكونوا في بلدانهم دعاة إلى الخير سفراء في بلادهم، ناقلين للتجارب الناجحة في الحلقات القرآنية، إقراء وتعليماً وتربية. وبهذه النظرة ثم الإعداد والتأهيل سيمتد أثر المؤسسات القرآنية المباركة إلى أصقاع الأرض.

# التربية والتعليم في حلقات البنات

منذ أن وطئت فرنسا أرض الجزائر وهي تعمل على محاربة الإسلام، لأنه يوحد الجزائريين تحت رايته، ويبعث في نفوسهم التحرر إلا من عبودية الله، ثم هي عبثت في اقتصادهم ومواردهم، وصاغت تعليمهم وفق ما تمليه سياسة المستعمِر، وكادت الجزائر أن تكون قطعة من فرنسا؛ لولا رحمة الله ثم المقاومة.

والعلَّامة ابن باديس كان الشخصية الأبرز في تلك المقاومة، إذ اتخذ من التربية والتعليم استراتيجيةً لإعادة الهوية الإسلامية إلى الجزائر، وقصته مع التربية والتعليم طويلة ومتفرعة، ونظراته في التعليم محل اعتناء واقتداء، يقول رحمه الله عن تعليم البنات:

(البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال، وتديُّن الأم هو أساس حفظ الدين والخُلُق، والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تديُّنهن، فإذا أردنا أن نكوِّن رجالاً فعلينا أن نكوِّن أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليماً دينيّاً، وتربيتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل

بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكوِّنَّ لنا عظماء الرجال)[1]. ثم ترجم ذلك عمليّاً بما لا يسع سرده في هذه السطور؛ إذ فتح أبواب الدراسة بالمجَّان للفتيات في قسم خاص في جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وقدَّم الدروس والمحاضرات للنساء وكتب لهن في المجلات.

التعليم الديني للبنات مسؤولية شرعية واجبة، سواء كان ذلك منظَّماً أو غير منظم، وهذا أمر طبيعي في المجتمع المسلم، أو هكذا ينبغي أن يكون، بل إن تعليمهن ما لا يسعهن جهله فرض كفاية، تطالَب النساء به، ويعمل الرجال على إيجاده، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قالت النساء للنبي ﷺ: غَلَبَنا عليك الرجالُ، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن... الحديث)[2]. لم يكتفِ النساء بالتعليم الذي قدمه النبي ﷺ عاماً للجنسين، بل طالبْنه بتعليم خاص بهن، وهذا دليل فضيلة فيهن. قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلُّم أمور الدين)[3].

ومما يستفاد من الحديث آنف الذكر: تنظيم تعليم النساء، فيكون لهن وقت مخصوص ومكان مخصوص لا يشاركن فيه الرجال،

---

(١) آثار ابن باديس ٤/ ٢٠١.
(٢) البخاري (١٠١).
(٣) فتح الباري ١/ ٢٣٧.

ولذلك بوَّب البخاري: (هل يُجعَلُ للنساء يوم على حِدَةٍ في العلم؟) بل جعله ابن الملقِّن حقاً على الإمام أن يفعله؛ ونقل ذلك عن عطاء[1]، فيكون من فروض الكفايات.

إذن؛ هذا الحديث يشير إلى مفهومين مهمين. الأول: واجب تعليم المرأة أمور دينها. والثاني: واجب التنظيم الصحيح لتعليم المرأة. وبناء عليه؛ فإن العناية ببنات المسلمين بتعليمهن ما يحتجنه مما يُصلح دينهن ودنياهن يشير إلى مدى الوعي لدى المجتمع وقياداته والمؤثرين فيه، كما يعني أننا نرقب ميلاد جيل جديد يحمل مشاعل الهداية ويستضيء بنور القرآن؛ قد تربى في أحضان أمهاتٍ تلقَّين التربية القرآنية كما ينبغي.

### ■ أم الدرداء الصغرى

هي زوجة الصحابي المقرئ أبي الدرداء، هُجَيْمَةُ بنت أبي حدرد الأوصابية الحميرية الدمشقية، السيدة العالمة الفقيهة، روت عِلماً جمًّا عن زوجها أبي الدرداء، كما روت عن عائشة وأبي هريرة وغيرهم.

عرضت أم الدرداء القرآن على أبي الدرداء وهي صغيرة، واعتنى بها حتى اشتهرت بالعلم والعمل والزهد[2]، وكانت -وهي صغيرة-

---

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٤/ ٢٢٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٧.

تجلس في حلق القراء تتعلم القرآن، إلى أن قال لها أبو الدرداء: (الحقي بصفوف النساء)[1]. وهذا يعني وجود حلقة أو أكثر لتعليم البنات كتاب الله، أو أن النساء كن يجلسن صفوفاً خلف صفوف الرجال؛ كما هو الحال في صفوف الصلاة، كما يعني أن الحلقة لم تقتصر على تعليم قراءة القرآن فقط، بل تشمل تعليم أحكام القرآن، مما ساهم في إكساب أم الدرداء الفقه.

ثم تدرج الأمر بها حتى أصبحت مقرئة معلِّمة، لها حلْقتها في مسجد دمشق، قال يحيى الغساني: (كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق)[2]. وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القباني عن أبيه عن جده قال: (كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق...)[3]. وبعيداً عن ارتياد الخليفة عبد الملك بن مروان لهذه الحلقة وبواعثه، فإن الشاهد من هاتين الروايتين وجود حلقة دائمة لأم الدرداء في المسجد الجامع بدمشق.

### ■ مضامين التربية في حلقات البنات

التربية القرآنية في الأساس هي تربية موجَّهة للجنسين، فإن

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٩.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ٧٢.

خطاب الشريعة شامل لهما، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]، لكنها خصَّت النساء ببعض الجوانب، كما خصت الرجال ببعض آخر، وهذا مقتضى الحكمة الإلهية، حيث الحاجة إلى التخصيص. وإذا تجنَّبنا الدخول في التفاصيل وحاولنا أن نتلمس العناوين العريضة لجوانب التربية القرآنية للنساء فإننا سنتحصل على جوانب متعددة؛ كرر القرآن الكريم تفاصيلها منوِّهاً بأهميتها، وتوصى حلقات البنات أن توليها مزيد عناية ببرامجَ ومقرراتٍ تسهم في إنجاحها، منها:

### ١. المفاهيم والتصورات:

إحدىٰ أهم القضايا التي جاء القرآن بمعالجتها: التصورات الخاطئة التي أورثتها الجاهلية، وأورثها البعد عن دعوات الأنبياء، وتكمن أهمية تصحيح ومعالجة التصورات والمفاهيم في كونها المحرك الأساسي للسلوك، والباعث علىٰ اتخاذ المواقف، لذا أسس القرآن الكريم مفاهيم وتصورات وصحح الأغلاط الحادثة فيها.

وعلىٰ سبيل المثال: يشير قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦] إلىٰ الفوارق الطبيعية بين الذكر والأنثىٰ علىٰ وجه العموم، كما أن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ

ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[النساء:٣٤] يشير إلىٰ فطرية القوامة وأنها بيد الرجل للمبررات المذكورة في الآية، وهذا يؤكد الفارق المادي بين الجنسين.

إن الضغط الثقافي الملوث علىٰ الفتاة المسلمة اليوم كوَّن قناعة تزداد ثبوتـًا يومـًا بعد يوم بمفهوم المساواة بين الجنسين، وهو مفهوم جاهلي يضاد مفاهيم الإسلام وتصوراته، وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال سيتحول إلىٰ بدهية ثقافية تورث الشقاء للمرأة وللمجتمع كله. كم تحتاج الفتاة التي التحقت بالحلقات إلىٰ مناقشة مُقنِعة، ومعالَجة علمية شمولية لمفهوم الفوارق بين الجنسين، وتطبيقات هذا المفهوم في زماننا.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك أيضـًا: حقوق المرأة. فقد كانت المرأة في الجاهلية متاعـًا يورَث، وسلعةً يُتاجَر بها، وعاراً يسوِّد الوجه، فنزل القرآن بتكريمها التكريم الإنساني العام، وتكريم المؤمنة التكريم الإيماني الخاص، ووهبها الله حقوقـًا يجب أن تؤدَّىٰ إليها، ولها أن تنتصر بالسلطان في إحقاق ما ندَّ من هذه الحقوق. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[البقرة:٢٣٣] إشارة إلىٰ عدم إغفال حق المرأة في ظروف مضطربة كهذه. وحين حققت

التربية القرآنية أهدافها ارتفع شأن المرأة المؤمنة، كما حصل واقعاً في صدر الإسلام، وكما يتحقق دائماً في كل مجتمع يجعل القرآن بوصلة موجِّهة لثقافته ومصدراً لتربية أبنائه، وقصة خولة بنت ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي تجادل الرسول ﷺ وتطلب حقَّها منه وتراجعه في حكمه: قصة خالدة في كتاب الله، إذ نزل القرآن بتأييدها ومعالجة القضية، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[المجادلة:١] الآيات. فأين ما كانت عليه المرأة في الجاهلية من هذه الصورة المشرقة؟

والمقصود أن القرآن الكريم عالج العديد من المفاهيم والتصورات، وإنما أردت ضرب المثال علىٰ مفهوم واحد ينبغي أن تشمله التربية القرآنية للبنات، وإلا فإن القرآن الكريم عالج العديد من المفاهيم والتصورات التي تحتاجها الفتاة.

### ٢. تعليم الأحكام الفقهية الخاصة بالنساء:

وقد أتىٰ القرآن بتفصيل علىٰ الأحكام الخاصة بالمرأة، كالحيض وما يتعلق بالمرأة في مسائل النكاح والطلاق والعدة والرضاع والميراث والسُّكنىٰ والنفقة.

### ٣. واجبات المرأة الزوجية:

للحياة الزوجية آداب ومسؤوليات وأحكام ومفاهيم تجهلها

بعض النساء، بالتزامن مع تأثير الثقافة الزوجية الغربية الوافدة عبر الإعلام المرئي والمقروء، التي تجعل المرأة شريكاً مساوياً للرجل في البيت في كل شيء، خلافاً لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة:٢٢٨]. وهذا أيضاً أدى إلى تخلخل كبير في روح الحياة الزوجية، وضعف استقرار في كيان الأسرة المسلمة، لقد اعتنى القرآن الكريم عناية بالغة بإنشاء تصوُّر راقٍ للحياة الزوجية يقوم على المودة والرحمة بين الزوجين، ويعتمد على مفاهيم منطقية في الغايات من الزواج، ويرتفع بسلوك الزوجين إلى الأجمل في حالات الفراق والطلاق، بما لم تصله الجاهلية القديمة ولا تستطيعه الجاهليات المعاصرة[1].

ومن العجيب أن القرآن الكريم يجعل للعقيدة ميداناً لا يُغفَل في الحياة الزوجية وتربية الأبناء، بل يجعل القرآن الكريم الواجبات الشرعية جزءاً من قِوام البيت الزوجي، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣-٣٤].

---

(١) يسر الله للمؤلف تتبع هدايات القرآن الكريم في هذه المسألة تحديداً، في كتاب: «مرج البحرين، التناول القرآني لموضوعات الزواج».

والتربية القرآنية تنظم أنواع العبادات في سلَّم من الأولويات، لا يبغي بعضها على بعض في تصور المرأة ووجدانها.

ثمة محاولات بشرية اجتهادية لتحسين الحياة الزوجية، غير أن كثيراً منها لم يستطع التخلُّص من تأثير الثقافة الغربية عليها، وحين يكون الحديث عن التربية القرآنية في حلقات تعليم القرآن الكريم فإن مساحة الاعتذار عن هذا القصور تتقلص، وذلك لتوفر المصدر التربوي الصافي، وما علينا سوى إعمال العقل العلمي في الآيات الكريمات في هذا الشأن والتطبيق الصحيح لفقهها.

**٤. العفاف والاحتشام:**

الحديث عن جوانب الاحتشام والحجاب وتدابير العفاف والوقاية من الفاحشة ومعالجة قضاياها في القرآن الكريم كثيرة، وتأخذ صوراً شتىٰ، وبلغ القرآن في تعزيز هذه المفاهيم وغرسها إلىٰ الحد الذي فضَّل فيه الزواج من الكتابية العفيفة علىٰ الزواج من مسلمةٍ زانية، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[المائدة:٥]. أما سورة النور فهي سورة حافلة بالموضوعات المتعلقة بالعفاف والاحتشام، كما تعرضت سورة

القصص بشكل مباشر للتقنيات المثالية لعمل المرأة خارج بيتها، وغير ذلك من السور والآيات التي تشكِّل في مجموعها كل متعلقات هذا العنوان الكبير.

القرآن الكريم يلفت الأنظار إلىٰ مسألة مهمة في حياة المرأة، وهي الحفاظ علىٰ سمعتها من التلوث الأخلاقي، فهو مرة يحكي قصة امرأة العزيز حين لاك النساء عرضها في مجالسهن، ومرة أخرىٰ يحكي عن مريم أمنيتها الحزينة إذ تقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[مريم:٢٣]، مدركة ما سيكون لهذا القَدَر المكتوب عليها من فرصة لتشويه سمعتها وهي الصدِّيقة العذراء.

واليوم تواجه الفتاة المسلمة حرباً ضروساً علىٰ عفافها واحتشامها، وهذا يفرض علىٰ حلقات البنات مسؤولية تربوية تقيهن من الخضوع لنداءات التفسخ، وتعالج قضايا الاحتشام.

**٥. الحفاظ علىٰ الفطرة وتنميتها:**

فطَر الله تعالىٰ النساء علىٰ صفات؛ علم الله أنه لا تصلح المرأة من دونها، وإن أحد معالم التربية القرآنية للمرأة تعزيز هذه الصفات ولفت النظر إلىٰ الحفاظ علىٰ ملامحها، لتعلُّقها بأنوثة المرأة، وحين تحارب هذه الصفات الفطرية، سواء كانت خَلْقية أو خُلُقية، فإن المرأة تنتكس وتسفل وتفقد جوهرها.

فطرة التطلع إلىٰ القوامة عليها مغروسة في المرأة، ولا تستطيع التخلص منها إلا بالانتكاسة الأخلاقية، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣٤]. ليس هذا علىٰ مستوىٰ الزوجية فحسب، بل في كل مناحي الحياة: المرأة بحاجة إلىٰ ظل رجل، تأمل قول بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل:٤٤]، ألا ترىٰ أنها جعلت إسلامها لله مقترنًا بمعية سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن خاصية الإسلام هي التخلص من الوسطاء!

وحين رجع الهدهد من رحلته الاستطلاعية سجل استغرابه من شيء غير مألوف فقال: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل:٢٣].

وحين مرَّ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ الناس في مدين؛ وجد امرأتين تنتظران الناس حتىٰ يفرغوا من سقي أغنامهم حتىٰ تسقيا أغنامهما بعدهم، ثم إن إحداهما تكلمت مع موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، غير أن القرآن أخبرنا أنها كانت تكلِّمه والحياء مُرخٍ أستاره عليها، قال تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[القصص:٢٥]. سجَّل القرآن الكريم هذه اللقطات لتعزيز فطرة المرأة المسلمة.

لا شك أن أحد الواجبات علىٰ حلقات البنات تعزيز جوانب الفطرة في أخلاقهن ومفاهيمهن، وأن يتعدىٰ ذلك إلىٰ الشكل، في

مظهر الحلقة وأدوات التدريس وتقنيات النشاط، بل يتجاوز ذلك إلىٰ المكاتب الإدارية للمشرفات والعاملات، بحيث يصبغ العمل في حقل النساء بالصبغة الأنثوية، فإن هذا هو الأمر الطبيعي، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾[الزُّخرُف:١٨]. إن الحفاظ علىٰ فطرة الفتاة وتنمية أنوثتها يفوقان في الأهمية تعليم بعض أحكام الفروع، كما يفوقان بعض التخصصات الشرعية الفرعية.

### ٦. المهارات الحياتية والتعامل مع المواقف المختلفة:

والمقصود بها السلوكات المتكررة في حياة المرأة اليومية، فإن القرآن الكريم اعتنى بها، والعبرة في ذلك أن تجيد المرأةُ التعاملَ مع كافة المواقف والأحداث والأزمات التي تمرُّ بها في حياتها، وتحسن التصرف فيها، فإنَّ ذلك أحد معالم تميُّزها وتفرُّدها.

فإذا أخطأتِ المرأة في حقِّ ربها أسرعت بالتوبة إليه والإنابة إليه والاعتراف بالذنب، كما في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل:٤٤]. وإذا أخطأت في حق زوجها تابت إلى الله ورعت حقه، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤]. وستجد في مجموع القصص النسائي في القرآن الكريم دروساً كثيرة تتعلق بالحياة اليومية

للمرأة، وما على المؤسسة القرآنية إلا صياغة المقررات من خلالها[1].

ما ذُكر آنفاً إنما هو قدْرٌ زائد عن التربية القرآنية المشتركة بين الجنسين؛ أَلفِتُ عناية المؤسسات القرآنية إلى العناوين العريضة لجوانبها وليس تفاصيلها، والمأمول من هذه المؤسسات أن تضطلع بواجب التربية القرآنية للبنات، فتسبر التفاصيل وتحيلها إلى واقع تربوي، لتخريج جيل من الفتيات يحفظن كتاب الله تعالى ويعملن به ويدعون إليه.

## ■ السمات الرئيسية لحلقات البنات

لا يمكننا أن نجعل من حلقات البنات القرآنية شيئاً مختلفاً في كل عناصره عن حلقات البنين، حيث العناصر المشتركة لحفظ القرآن الكريم، ولكن في مقابل ذلك فإن لحلقات البنات سمات رئيسية تميُّزها، وهي:

### - المظهر العام لحلقات البنات يصطبغ بالأنوثة

ذلك أن المظهر العام يعبِّر عن الهوية والخصائص، كما يحفِّز علىٰ القيام بالأدوار المناسبة علىٰ وجهٍ أفضل، ولا يتطلب هذا الأمر تكلفة مالية زائدة، لكن ربما يتطلب إشراكاً للنساء في تصميم المظهر العام الذي يبرز هويتهن ويحافظ في الوقت نفسه علىٰ قيمهن.

---

(١) يسر الله للمؤلف تتبع قصص النساء في القرآن واستنباط الفوائد والدروس منها، في كتاب صغير: «الجواهر، من أخبار النساء في القرآن».

**- حلقات البنات تراعي الظروف الأسرية والحاجات الاجتماعية لهن**

حركة المرأة في المجتمع المسلم أكثر ثقلاً من حركة الرجل، فإن الرجل إذا خرج من بيته لم يتجاوز التأثير الذي يحدثه خروجه شيئـًا يذكر، في حين إذا خرجت المرأة أحدث ذلك تأثيراً علىٰ مجريات حياة أولادها ووليها وبيتها، ولذا فإن علىٰ المؤسسة القرآنية أن تراعي هذا الأمر في التخطيط والإجراءات، وعلىٰ سبيل المثال: فإن المرأة حين تذهب إلىٰ حلقة القرآن هي بحاجة إلىٰ من يرعىٰ لها أطفالها الصغار، ولا خيار آخر غير حرمانها من الانضمام إلىٰ الحلقة غالبـًا، فينبغي توفير بيئة مناسبة تذهب إليها المرأة بأطفالها الصغار. هذا الأمر قد يتطلب تصميم بيئة جديدة تراعي هذا الجانب. كما أن المرأة مضطرة إلىٰ وسيلة نقل، أو الذهاب مع وليِّها. كل ذلك بحاجة إلىٰ التفات واهتمام.

وفي المجتمع فتيات ونساء كثيرات يصعب عليهن الخروج من المنزل والذهاب إلىٰ الحلقات، لأسباب مختلفة وظروف غير مواتية، لكنهن راغبات في تعلُّم القرآن وحفظه، هذا يدفع المؤسسة القرآنية إلىٰ أن تفكر جديّـًا في قلب التفكير، فبدلاً عن حضورهن المتعذر، يكون الذهاب إليهن في بيوتهن، وذلك باستخدام تقنيات التواصل الحديثة مثلاً، أو بأي شكل آخر، ويمكن أن يكون «التعليم عن بُعد»

حلاً لمشكلات متعددة، بل يمكن أن يكون أسلوب تعليم بديل في بعض الأحيان والظروف.

والطالبات أشد حاجة إلىٰ الرعاية والمتابعة وتلمُّس احتياجاتهن، فهذه طالبة فقيرة، وأخرىٰ يتيمة، وثالثة لديها صعوبات تعلم، ورابعة طموحة، وهلمَّ جراً...

والطالبة الطموحة إذا لم تجد ما يلبي طموحها فإنها ربما انصرفت عن الحلقة.

ويؤمَّل من حلقات البنات أن يكون لديها تقنية متفق عليها في متابعة أحوال الطالبة الاجتماعية والأخلاقية في مجتمعها. كما يؤمَّل منها أن يكون لديها برامج إرشادية لعلاج الانحرافات التي يمكن حدوثها هنا أو هناك، وسيكون للمعايشة التربوية بين المعلمة والطالبة تأثير كبير في هذا الأمر.

وفي الواقع أن مجتمع حلقات البنات اليوم لم يعد في منأىً عن التعرُّض -من قريب أو بعيد- للانحرافات السلوكية والأخلاقية، وعلىٰ المربيات والمرشدات في حلقات البنات أن يطوِّرن مهاراتهن وينمِّين معارفهن فيما يتعلق بالمعالجات السلوكية والأخلاقية للبنات؛ انطلاقاً من منهج أهل السنة والجماعة في تبعُّض الإيمان وزيادته ونقصه عند المؤمن، فإن الفتاة وإن كانت مُحبة لكتاب

الله مستمسكة بدينها إلا أنها ليست معصومة من الوقوع في بعض الأخطاء؛ في زمن الانفتاح الهادر.

**- حلقات البنات تراعي الخصائص النفسية والعقلية والجسدية**

لا شك في وجود فوارق في التعليم بين الجنسين، في الخصائص والاحتياجات والمقررات، وعلينا إدراك هذه الفوارق واستيعابها في منهج التربية والتعليم في حلقات البنات. ولعل أحد أهم الأسباب التي تجعل الفتاة في عزوف مستمر عن هذه الحلقات يكمن هنا في هذه النقطة: الخصائص والاحتياجات؛ فإن للإناث خصائص يختلفن بها عن الذكور، سواء في الخِطاب والتواصل أو في الأعمال والإجراءات والتكليفات أو في الأوقات المناسبة من عدمها... الخ.

كما أن الإناث يتفاوتن في الخصائص بينهن باعتبار الأعمار: الطفولة والمراهقة والشباب والنضج.

**- حلقات البنات تنمي فيهن الوعي الفكري**

أصبحت قضية المرأة إحدىٰ بؤر الصراع بين الإسلام والغرب، وليس الأمر هامشيـًا، ولا يصحُّ أبداً أن تتخرج الفتاة بالتربية القرآنية وهي لا تعرف موقعها من هذا الصراع ولا كيف تواجهه، ولم يعد

أمراً سائغـًا أن تنأىٰ حلقات البنات عن التثقيف المناسب لهذا العصر المزدحم بوسائل الانفتاح علىٰ الأفكار والقيم الدينية والاجتماعية.

- **حلقات البنات لها رؤية واضحة وأهداف جيدة**

هذه الرؤية مبنية علىٰ أسس علمية، وليس بالضرورة أن تكون معقدة. ويشارك في صناعتها خبراء التربية من الجنسين. ولم يعد بُعْدُ بعض البلدات عن العواصم عذراً كافيـًا في انعدام خبراء التربية والتخطيط، فإن تقنيات التواصل الحديثة قربت البعيد، وأصبح بالإمكان الاجتماع مع نخبة من الخبراء من مناطق شتىٰ في وقت واحد! عبر التقنية الحديثة.

الضبابية في الأهداف والرؤية قد لا تساعدنا علىٰ صياغة المنتج النهائي من العملية التربوية في الحلقات، فيضعف التأثير المرجو في المجتمع.

- **حلقات البنات تصنع النماذج الصالحة**

الفتيات بحاجة مُلِحَّة إلىٰ رؤية القدوات في مجتمعاتهن لا سيما في زماننا هذا؛ إذ تضخ وسائل الإعلام المتنوعة نماذج غير صالحة للاقتداء، وتجعل منهن رموزاً للبنات. وهذا خطير. والقرآن أرشد المؤمنات في مواطن متعددة إلىٰ نماذج صالحة للاقتداء، وأشار إلىٰ

موضع القدوة فيهن، كما جاء في سورة القصص عن امرأتي مدين، وكما جاء في سورة آل عمران عن الصِّدِّيقة مريم وأمها، وغير ذلك من الأمثلة المبثوثة في قصص النساء في القرآن.

والحديث عن القدوات يختلف عن الحديث عن الرموز، فلا أقصد هنا توفير الرموز من المسلمات الصادقات؛ وإنما أقصد من أنعم الله عليها بديانة ووعي واحتشام وسمت مؤثر؛ وإن كانت من سِطة النساء سُفَعاء الخدين، لا يعرفها إلا أهل محلَّتها.

## ■ تحديات

قد يعترض الحلقة القرآنية للبنات -ذات النموذج المذكور آنفـًا- بعض الأمور التي تبطئ من تقدُّمها في حال لم نتعامل مع هذه التحديات بشكلٍ جيد، ولربما أوقفت حركتها وجعلتها قالبـًا جامداً، فلا بد من التفطن لهذه الأمور والاجتهاد في معالجتها، وحين تتعامل المؤسسة القرآنية مع هذه التحديات بذكاء فإنها -بإذن الله- ستتحول إلىٰ فرص جيدة. وأهم هذه التحديات:

### ١. اختلاف الأجيال:

والمقصود به الفجوة الزمنية العمرية، كما هو حاصل في الفجوة العمرية بين الإدارة التربوية والمستفيدات، وهو تحدٍّ طبيعي، يعترض كل المؤسسات التربوية والتعليمية، ويمكن معالجته بأمور وتقنيات

متعددة؛ أهمها: إدراك هذا التحدي وأثره وملاحظة هذا الاختلاف واحتمالات الأخطاء الناشئة عنه. ومنها: إشراك بنات المرحلة العمرية المستهدفة في بناء البرامج والنشاطات، لا المقررات والأهداف. ومنها التحالف مع الكوادر التربوية الخبيرة.

وهناك فجوة عمرية توجد في بعض من الأحيان بين الإدارة العليا والإدراة التنفيذية، وتكمن خطورته في فقدان قنوات الاتصال الجيدة بين الطرفين.

**٢. الثقافة التربوية السائدة:**

في الواقع إن الثقافة التربوية لدىٰ حلقات البنات اليوم، في مجملها -وفقًا لمعالم التربية القرآنية- يعتورها كثير من القصور في الإعداد المتكامل والشامل لشخصية الفتاة المسلمة، لا أقول هذا من باب التأنيب؛ فإن الدور الذي قدمته المربيات في حلقات البنات فاق المتوقع منهن، واستطعن -بتوفيق من الله تعالىٰ- الإسهام في المحافظة علىٰ الهوية الإسلامية للفتاة في ظل الانفتاح والانفلات. غير أن هؤلاء المربيات لا يزلن مرابطات في بؤرة التحديات، وإن إحداث التغيير في المنهج التربوي وتقنياته يتطلب تغييراً إيجابيًا في الثقافة التربوية لدىٰ المربيات من خلال التصحيح المستمر للمفاهيم والتصورات الإسلامية والتربوية، ومن خلال التوعية المنظَّمة للواقع

الفكري المتعلق بالفتاة، ومن خلال تدريبهن علىٰ مختلف المهارات والتقنيات اللازمة.

### ٣. تقنية التواصل الاجتماعي:

الإنترنت والتطبيقات «الذكية» وفَّرت بيئة تفاعلية تثقيفية لدىٰ البنات، وشريحة كبيرة من الفتيات صرن ضمن هذه البيئة التفاعلية، وهو ما جعل كثيراً منهن يعزف عن ارتياد الحلقات القرآنية، وينمو كلَّ يوم مفهوم «التعليم عن بُعْد» وهو مفهوم تعليمي يساهم كثيراً في الأعمال التعليمية والتربوية.

وهذا يدفع المؤسسة القرآنية إلىٰ أهمية استثمار هذه التطبيقات للأغراض التربوية، وتدريبهن علىٰ المهارات الإيجابية للتفاعل فيها، وكذلك اعتمادها للوصول إلىٰ طالبات أخريات يصعب استقطابهن للالتحاق بالحلقة في موعدها الرسمي؛ وكل ذلك يتم وَفْقَ تخطيط تربوي؛ فمثلاً ماذا لو اعتمدت حلقة ما تقنية التواصل الاجتماعي بنسبة ٣٠٪ من مناشطها وبرامجها؟

وعلىٰ أي حال وسواء كانت النسبة أقل أو أكثر؛ يفضل أن تكون الرؤية واضحة لدىٰ المؤسسة في هذا الأمر.

والحقيقة أن هناك مناشط تأسست في الإنترنت وفي مواقع التواصل الاجتماعي تخاطب الفتيات في مواقعهن، ونجحت وبرعت

واستقطبت المستهدفات، إنه ميدان جديد يجب خوضه بثقة واقتدار، ولدىٰ المؤسسات القرآنية تاريخ رائع من خوض التجارب واقتحام الميادين المتنوعة يؤهلها بعد توفيق الله لتسنم صدارة التوجيه التربوي في صفوف البنات؛ إذا أرادت ذلك.

# الحلقات في شهر رمضان

شهر رمضان شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة:١٨٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان:٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[القدْر:١]، فارتبط القرآن برمضان في الشريعة ارتباطاً وثيقاً، الإسلام وأعلامه والصالحين في كل زمان، وجاءت تلاوة القرآن في شهر رمضان في العلو من سلم الأولويات في عبادات رمضان، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن)[1].

قال ابن رجب: (دل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبُّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزَّمل:٦] . وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾)[2].

---

(١) البخاري (٤٩٩٧).

(٢) لطائف المعارف، ص٣١٥.

وكان بعض السلف الصالح يختم في قيام رمضان كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع؛ منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العطاردي.

وكانوا يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وفي غيرها؛ وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث، وكان قتادة يختم في العشر الأواخر في كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه، وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن[1]. وخرج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول ليلة من رمضان، والقناديل تزهر في المساجد، وكتاب الله يُتلى، فجعل ينادي: نوَّر الله لك يا بن الخطاب في قبرك كما نوَّرت مساجد الله بالقرآن[2].

---

(١) لطائف المعارف، ص ٣١٨.

(٢) مختصر كتاب قيام رمضان ص٣٧.

## ■ سر الاقتران بين القرآن ورمضان

ما تم سرده باختصار من هدي حبيبنا ﷺ والسلف الصالح رحمهم الله فيما يتعلق بزيادة الاهتمام بكتاب الله تعالى قراءة وصلاة ودراسة في ليالي شهر رمضان، ليبعث في النفس التأمل والتساؤل: ما سر خصوصية الاهتمام بالقرآن في ليالي شهر رمضان؟ ولماذا عكف الصالحون -وعلى رأسهم سيد الأنبياء وسيد الملائكة- على مدارسة كتاب الله وتلاوته في ليالي شهر رمضان؟ بل لماذا وصف القرآن هذا الشهر بأنه شهر القرآن؟

هذه التساؤلات والإجابة عنها مهمة، خاصة إذا التفتنا إلى المؤسسات والحلقات القرآنية، لأن ذلك يعدُّ «فكرة»، وإذا توصلنا إلى الفكرة ساعدنا ذلك على بناء أعمالنا وبرامجنا التربوية، ولعل الفكرة تكمن في ثلاثة أمور:

١. إن الصوم ذاته مؤثر تأثيراً إيجابياً في تلقِّي القرآن وتيسير تلاوته وتدبُّر آياته، وقد نقل أبو الحسن البقاعي رحمه الله عن الحرالي تعليقاً على آيات الصيام قوله: (أشعَرَ أن من أعظم المقاصد بمشروعيته تصفية الفكر لأجل فهم القرآن)[1]، وهذا أمر يكاد يدركه من يتأمله أو يعاينه، فإن الصوم يوهن العنصر

(١) نظم الدرر ١/ ٣٤٣.

المادي في الإنسان ويخفف من ثقلة الأرض، ويشد الجانب الروحي فيه، ويقوِّي في الإنسان قلبه وعقله.

٢. إن شهر رمضان -بنزول القرآن في لياليه- باركه الله وجعله موسم رحمة وبركة وهداية، فأصبح ظرفاً زمانياً للبر والتقوى، ولهذا جاء في الحديث: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصفِّدت الشياطين»[١]. وبذلك تتهيأ القلوب للطاعات، ومنها العناية بالقرآن. وكما أن نزول القرآن من السماء إلى الأرض في شهر رمضان كان رحمة للناس، فكذلك نزول القرآن على القلب في هذا الشهر: رحمة له وهداية ويُسْر.

٣. خاصية الليل في تلقِّي القرآن وعمق تأثيره، كما في آية المزمل، قال ابن كثير رحمه الله: (والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمعُ على التلاوة، ولهذا قال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهُّمها من قيام النهار)[٢]. وقال ابن عاشور: (فالمعنى أن صلاة الليل أعون على تذكُّر القرآن والسلامة من نسيان بعض الآيات، وأعون على المزيد من التدبر. قال ابن عباس: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أدنى من أن يفقهوا القرآن، وقال قتادة: أحفظ للقراءة)[٣].

---

(١) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم واللفظ له (١٠٧٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٢.
(٣) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٦٣.

## ■ الفرصة الثمينة للحلقات

تلك ثلاثة أمور، وربما هناك سواها، أعْلَت من شأن تلاوة القرآن وحفظه ومراجعته وتدبُّره في شهر رمضان، إذ اجتمعت فيه، وهذا يقتضي أن يكون أمام الحلقات والمؤسسات القرآنية فرصة موسمية تتكرر كلَّ عام، في التخطيط للبرامج والمشاريع التي تعتني بكتاب الله حفظاً ومراجعة وتلاوة وتدبُّراً وتعليماً.

إن شهر رمضان في كل عام هو فرصة مشروع تعليم للقرآن الكريم، لِمَا فيه من الجاهزية العالية للنجاح متىٰ ما أُحسِن استثماره، وإن انقضاءه دون إنجاز مشروع قرآني علىٰ الصعيد الشخصي أو علىٰ مستوىٰ الحلقات والمؤسسات القرآنية يعني أننا أهدرنا جزءاً من الفرص المهمة، وأخفقنا في إدارة مشاريعنا القرآنية. إن ذلك يعني غياباً في وعينا التربوي، وضعفاً في علمنا الشرعي؛ أربأُ بروَّاد الحلقات والمؤسسات القرآنية عن كل ذلك، وإن علينا مراجعة حساباتنا في استثمار شهر رمضان كما ينبغي وكما يليق به.

لقد كان رسول الله ﷺ في شهر رمضان فقط يعرِض علىٰ جبريل القرآن ويعرضه جبريل عليه، كل عام، فكان شهر رمضان هو زمن لاعتماد آخر ما وصل إليه نزول القرآن، فتأمل كيف يعلمنا الإسلام أن هذا الشهر هو شهر المشاريع والبرامج القرآنية.

## ■ برامج الحلقات في رمضان

أضع بين يديك -أخي القارئ- أربع نقاط يتمحور حولها العمل في الحلقات القرآنية في شهر رمضان: الحفظ والمراجعة، والمدارسة والمعارضة، والتلاوة، والتدبر، وفيما يأتي تفصيلها:

- **الحفظ والمراجعة**

شهر رمضان فرصة لتكثيف الحفظ والمراجعة، بحيث يكونان أكثر منهما في غيره من الشهور.

- **المدارسة والمعارضة**

والغرض من مدارسة القرآن إتقان المحفوظ وتثبيته وتصحيح أغلاطه. وعليه؛ أقترح علىٰ الحلقات القرآنية أن تعمل برنامجًا أو أكثر لإتقان المحفوظ وأن تبدع في ذلك، ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

- تقسيم الحلقة الواحدة إلىٰ مجموعات ثنائية، أي كل طالبين في الحلقة يعدَّان مجموعة، وتجري بين هذه المجموعات منافسة ما أو أي مسابقة مثيرة.
- تقسيم الحلقة إلىٰ مجموعات حسب مستوياتهم في الحفظ، ويجلس المعلم إلىٰ كل مجموعة، ويقوم كل طالب بقراءة

وجه واحد من المقرر غيباً، ويكمل الطالب الآخر الوجه الثاني، وهكذا الثالث... وإن شاركهم المعلم القراءة فهذا حسن.

- برنامج الإقراء والإجازة للقرآن كاملاً للطلاب الذين ختموا القرآن حفظاً، أو أجزاء منه لشرائح محددة، كالإجازة في سورة الفاتحة، أو الإجازة في المفصل من القرآن أو قصار المفصل.

- **التلاوة**

هل من المعقول أن تتوقف حلقة تعليم القرآن في شهر رمضان عن الحفظ والمراجعة، وتغيِّر عملها ليصبح تلاوة للقرآن؟

نعم، وما المانع من ذلك؟ إذا رأىٰ معلم الحلقة أن يربي طلابه علىٰ تعظيم القرآن في شهر رمضان، فأحد الأفكار المفيدة أن يقرر علىٰ طلابه مهمة تلاوة القرآن الكريم بطرق متنوعة لا تخلو من جاذبية وإثارة، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: مسابقة بين الطلاب علىٰ ختم كتاب الله تلاوة، تقسم المسابقة إلىٰ مستويات حسب مراحلهم الدراسية أو العمرية. ويكون دور المعلم هنا التحفيز والإثارة والتشجيع والتذكير بفضل قراءة القرآن وما فيها من أجر، والتذكير بأنها من أفضل عبادات شهر رمضان، ويشاركهم التلاوة ويتابعهم.

- **التدبُّر**

شهر رمضان فرصة للوقوف مع آيات الله فهمـًا لمرادها واستباطـًا لأحكامها، حيث صلاة التراويح وإقبال الناس علىٰ القرآن، وكان الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله يبدأ درسه في المسجد الحرام عقب صلاة التراويح بالوقوف مع بعض الآيات التي قرأها الإمام في تلك الصلاة، فيجلِّي معانيها ويستنبط أحكامها وفوائدها، فيا لوقع تلك الوقفات علىٰ قلوب الحاضرين وعقولهم.

ورأيت أحد معلمي الحلقات وهو يجلس مع صفوة طلابه عقب صلاة التراويح في المسجد فيتدارسون جزءاً من كتاب الله، ذلك أنه وطلابه استعدوا لهذه الجلسة التدبرية قبل بَدئها تحضيراً وقراءة، ثم هم في هذه الجلسة يمسكون مصاحفهم ويجتهد كل واحد فيهم -بتوجيهٍ وإشرافٍ من المعلم- باستنباط ما يستطيعونه من الفوائد والأحكام والأسـرار، وهو بهذه الطريقة الإبداعية لم يُفِد طلابه بالأحكام والفوائد فحسب؛ بل درَّبهم علىٰ ملكة التدبر في كتاب الله، ودربهم أيضـًا علىٰ مهارات العرض والإلقاء والحديث. وبإمكان أي معلم أن يبدع طريقة يفيد بها طلابه ويحقق بها الخيرية في هذا الشهر المبارك.

■ **وسائط مهمة**

ما ذكرته لك -وفقك الله- من النقاط التي يتمحور حولها عمل الحلقات القرآنية في رمضان بحاجة إلىٰ وسائط، عن طريقها تنفَّذ تلك المهام، وإن أكبر وسيط هو قيام الحلقة ذاتها، حيث تتم فيها البرامج والأنشطة، لكنني أشير هنا إلىٰ وسيطين مهمين: صلاة التراويح والاعتكاف.

- **صلاة التراويح**

وذلك من خلال أمرين:

**الأمر الأول**: التربية على المحافظة عليها والخشوع فيها وتدبُّر آياتها.

**الأمر الثاني**: إمامة التراويح. أعني أن يؤم الطلاب الحافظون لكتاب الله أو أكثر أجزائه، أن يؤمَّوا الناس في المساجد لصلاة التراويح عن ظهر قلب، وذلك يحقق فوائد، من أهمها: تثبيت الحفظ وإتقانه ومراجعة المحفوظ، وكذلك تعويد الطلاب وتدريبهم على الإمامة. قال ابن خزيمة: (استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك. فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث

حتى تصلي بالختمة. ففعلت، فلما عَيَّدْنا أذن لي)[1].

وصلاة التراويح شعيرة عظيمة يجب تعظيمها، ومن تعظيمها الحفظ الجيد للآيات المقروءة، وأن يؤم الطلاب الناس فيها من حفظهم، ومن تعظيمها: تدريب الطلاب الذين سيؤمون الناس على آداب وأحكام صلاة التراويح، وفقهها، وفنون التعامل مع الناس، وأحكام وآداب المسجد، وما إلى ذلك من المسائل التي تهم إمام الناس في صلاة التراويح.

أعتقد أن مشروعاً قصيراً في تأهيل أئمة المساجد من طلاب الحلقات تقيمه المؤسسة القرآنية سيكون له كبير الأثر على المجتمع وعلى الطلاب أنفسهم.

- **الاعتكاف**

لزوم المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان وسيط رائع للتربية القرآنية، حيث التفرغ التام من الشواغل والانقطاع الكامل عن الملهيات وأغلب العلائق والعلاقات، كما يتوفر فيه تهيؤ الجانب الوجداني والروحي لكتاب الله تعالىٰ، ويكون الطالب في الاعتكاف قادراً علىٰ تنظيم وقته وجدولة ساعات الاعتكاف في طاعة الله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٧١.

أفضل العبادات في الاعتكاف ما كانت متصلة بالقرآن والدعاء، ومن هنا فإن علىٰ المعلم أن يستثمر الاعتكاف في حفظ أجزاء من القرآن أو مراجعته أو تلاوته أو مدارسته أو تدبره عبر فقرات متنوعة تفيد الطالب ولا تُملُّه.

يا بُناة الأجيال، يا مشرفي الحلقات القرآنية، دونكم موسم الأرباح والمغانم التربوية فاغتنموه ولا تضيعوه.

# الحلقات والتربية على التلاوة

قال ابن رجب رحمه الله: (ومن أعظم ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى من النوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكُّر وتدبُّر وتفهُّم)[1].

ليسوا بالعدد القليل؛ أولئك الذين أتموا حفظ القرآن في الحلقات، أو حفظوا جزءاً كبيراً منه ثم هم لا يواظبون على تلاوته؛ وليس لهم وِردٌ يومي يلتزمون به، وإذا كان هذا حال كثير من حفظة القرآن؛ فما بالك بغيرهم ممن لم يحفظوا القرآن الكريم! ولماذا يهجر هؤلاء الطيبون الأخيار كتاب الله وهم يحبُّونه ويدعون إليه ويدافعون عنه ويتحاكمون إليه؟

لماذا يتحمَّس الشاب الطيب الخيِّر فينطلق في تلاوة القرآن، ثم ما يلبث أن يتوقف عن التلاوة في أوائل سورة النساء أو المائدة؟ ثم يعيش فترة انقطاع طويلة يملؤها بالندم والتأنيب والتحسر، ويُشعِر نفسه بأنه مشغول عن تلاوة القرآن الكريم؟ ثم هو يمنِّيها بأن يعود إلى التلاوة من جديد؟

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٤٢.

لماذا يجد الشاب الطيب الذي أمضى بضع سنوات على الأقل على التحاقه بالحلقات وقد منَّ الله تعالى عليه بالاستقامة، لماذا يجد صعوبة في إتمام ختمة واحدة للقرآن الكريم في شهر رمضان المبارك؟

تساؤلات عديدة في هذا الإطار يستحي كثير من الشباب الأخيار أن يسألوها أنفسهم أو يسألوها معلميهم! وهذه السطور تحاول أن تعالج هذه المشكلة التي أقضت مضاجع هؤلاء الفتية الأخيار، والتي ربما أورثتهم إحباطاً في طريق استقامتهم.

## ■ الهدي النبوي في تلاوة القرآن

لخص ابن القيم صفة قراءته ﷺ، فأما عن ورده اليومي وملازمته لتلاوة القرآن الكريم فقال: (كان له ﷺ حزب يقرؤه، ولا يخلُّ به... وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً، ومتوضئاً ومحدِثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة).

وأما عن صفة قراءته ﷺ للقرآن الكريم فقال: (وكانت قراءته ترتيلاً، لا هذّاً ولا عجلة، بل قراءة مفسَّرة حرفاً حرفاً، وكان يقطِّع قراءته آية آية، وكان يمدُّ عند حروف المد، فيمدُّ «الرحمن» ويمد «الرحيم». وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، فيقول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وربما كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه». وكان تعوُّذه

قبل القراءة. وكان ﷺ يتغنى به، ويرجِّع صوته به أحياناً كما رجع يوم الفتح في قراءته ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح:١]. وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه: آآآ ثلاث مرات)[١].

وترجيع الصوت: ترديده في الحلْق. قال ابن حجر: (وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع، فأخرج الترمذي في الشمائل والنسائي وابن ماجة وابن أبي داود واللفظ له من حديث أم هانئ: كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجِّع القرآن. والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل، فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: بتُّ مع عبد الله بن مسعود في داره، فنام ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه؛ لا يرفع صوته، ويُسمع من حوله، ويرتِّل ولا يرجِّع)[٢].

وكان من هديه ﷺ أن يتدبر ما يقرؤه ويتفكر فيه، كما ثبت عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذ)[٣].

---

(١) انظر: زاد المعاد ١/ ٤٨٢.
(٢) فتح الباري ٨/ ٧٠٩.
(٣) مسلم (٧٧٢).

## ■ ختمات القرآن في هدي السلف

تحدث الإمام النووي رحمه الله في كتابه الماتع «التبيان في آداب حملة القرآن» عن ختمات السلف، فقال: (وكان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه)[1]. ثم فصَّل تفصيلاً رائعاً، سألخصه في الآتي:

- منهم من كان يختمه كل شهرين.
- ومنهم من يختمه كل شهر.
- ومنهم من كان يختمه كل عشر ليال.
- ومنهم من كان يختمه كل ثماني ليال.
- والأكثرون يختمونه كل سبع ليال كعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب وعلقمة وإبراهيم النخعي وغيرهم ونُقل عن عثمان بن عفان.
- ومنهم من كان يختمه كل ست ليال، أو خمس، أو أربع.
- وكثيرون يختمونه في ثلاث ليال.
- ومنهم من كان يختمه في ليلتين.

---

(١) التبيان، ص٤٦.

- وكثيرون يختمونه كل يوم وليلة منهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي... إلخ[1].

وبعد سرده المختصر لأخبار المواظبين على ختم القرآن الكريم تلاوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال الإمام النووي: (والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فلْيقتصر على قدْر يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمَّات الدين ومصالح المسلمين العامة؛ فلْيقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فلْيستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة)[2].

إذن؛ ليس في المسألة قولاً واحداً بالأفضلية، وإنما حال الإنسان وظرفه لهما الاعتبار الأقوى بالأفضلية، لا سيما وأنه لم يرد نص صريح بذلك. وإنما عمل السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما أداه إليه اجتهادهم، والذي بنوه على نظرتهم لواقعهم الشخصي، فمنهم من يختمه في يوم وليلة، ومنهم من يختمه في شهرين، ومنهم من يختمه فيما بين ذلك.

---

(١) التبيان، ص٤٧ - ٤٩.
(٢) التبيان، ص٥٠.

وكانوا في رمضان يزيدون من وردهم القرآني، وهذا يدل على أن الحال والظرف محكَّمان في هذه المسألة، ولذلك ذكر الإمام النووي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ختمه في أسبوع في بعض حاله، وختمه في يوم وليلة في بعض آخر.

وللحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قول تجمُلُ إضافته إلى قول الإمام النووي في المفاضلة بين الإسراع في قراءة القرآن والتدبر والترسل، قال: (والتحقيق أن لكل من الإسراع والترتيل جهة أفضل، بشرط أن يكون المسرع لا يخلُّ بشيء من الحروف والحركات والسكون والواجبات. فلا يمتنع أن يَفْضُلَ أحدهما الآخر، وأن يستويا، فإن من رتَّل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة مثمَّنة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون بالعكس)[1].

### ■ حصة التربية على التلاوة

مما عرضت آنفاً أريد أن أنفذ إلى القول بأن تربية الطلاب والناشئة عموماً على تلاوة القرآن الكريم مسألة ينبغي أن يراعى فيها ما راعاه الإمام النووي، وقد راعى أمرين في هذه المسألة: حال الشخص وظرفه (بغض النظر عن دقائق التفاصيل في الحال

---

(١) فتح الباري ٨/ ٧٠٦.

والظروف)، وقيَّد الاستكثار من تلاوة القرآن الكريم بأمرين: الإملال لأنه سبب للانقطاع، والهذرمة لأنه لم تعد في التلاوة فائدة. فهنا أربعة أمور ينبغي على المربي أن يفطن إليها وهو يستهدف تربية الطلاب على تلاوة القرآن الكريم:

١. حال القارئ.

٢. الظرف.

٣. الملل.

٤. الهذرمة.

ولا يحسن أن يمضي المربي في حثَّه على الاستكثار من التلاوة دون النظر إلى هذه الأمور الأربعة، وهنا يلاحَظ على بعض المربين حثُّهم الطلاب على الاستكثار من تلاوة القرآن مدعِّمين ما يدعون إليه بسيرة أولئك الأفذاذ الذين كانوا يختمون القرآن في يوم وليلة أو في ركعة واحدة أو كل أسبوع، فيندفع المتربي نحو الاقتداء بسيرتهم العطرة فيجد نفسه قد اصطدم بصخرة عاتية تعيقه عن إتمام المسير، فيؤثر عليه سلباً: من حيث شعوره بالإخفاق، وعدم قدرته على الاقتداء بسِير السلف الصالح، ويزداد الأمر إشكالاً حين يكون المربي ذاته مقصِّراً في هذا الجانب، فلا توجد لديه الشحنة الكافية من الإقناع والتأثير على الطلاب.

والذي يَحسُن لفت الانتباه إليه أنه ليس بالضرورة أن يكون أولئك الأفذاذ من السلف الصالح قد وصلوا في وقت قصير إلى ما وصلوا إليه من الاستكثار من تلاوة القرآن الكريم إلى درجة الختم في يوم وليلة ونحوه، فإن النفس البشرية لا تقوى على ذلك إلا بالتدرج في الاستكثار.

### ■ الموازنة بين الالتزام بمقدار وحجم المقدار

وأمر آخر: إن الشيء المشترك بين من كان يختم في يوم وليلة وبين من كان يختم في شهرين، وبين من كان يختم فيما بينهما: الالتزام بالتلاوة وعدم الانقطاع، وهذا الأمر أبلغ بكثير في الأهمية من مدة ختم القرآن تلاوة. ذلك لدلالته على تعظيم قدر القرآن الكريم في النفس وتعظيم الله الذي أنزل القرآن؛ كما أن الالتزام بالتلاوة له دلالته على تجذر المراقبة الداخلية في القلب، وكذلك المتابعة الذاتية للواجبات اليومية.

إن الالتزام مبدأ شرعي حثَّ عليه الإسلام أكثر من حثه على حجم العمل؛ فعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[1].

---

(١) مسلم (٧٨٣).

إذن؛ الالتزام بتلاوة مقدار محدد من القرآن يأتي في الدرجة الأولى في التربية على تلاوة القرآن الكريم، ثم يأتي بعده -وهو مهم أيضاً- مقدار ما ينبغي أن يتربى عليه الطلاب في تلاوة القرآن الكريم، ولم يأتِ نص صريح في الأمر بتلاوة مقدار محدد، إلا ما ورد في إجابة لبعض الصحابة رضي الله عنهم؛ فعن وهب بن منبه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: «في أربعين يوماً». ثم قال: «في شهر». ثم قال: «في عشرين». ثم قال: «في خمس عشرة». ثم قال: «في عشر». ثم قال: «في سبع» لم ينزل عن سبع[1]. ومع كون هذا النص جاء في حالة عينية، إلا أنه واضح الدلالة في التيسير على السائل رغم قدرته على ما هو أكثر من ذلك، لذلك تنوعت أحوال السلف في الورد القرآني اليومي.

وهنا يحسُن بالمربي أو الداعية في خطابه بشأن الحث على تلاوة القرآن أن يراعي من يخاطب، فليس المبتدئ كالراسخ، وليس الصغير كالكبير، وليس المقبل كالنافر المتردِّد، والعبرة بالتزامهم بتلاوة القرآن، فإذا وفقهم الله بالتزام التلاوة فسوف يفتح عليهم في قادم الأيام وسيجدون من حلاوة القرآن ولذته ما يجعلهم يستزيدون ويستكثرون حتى يصل بهم الأمر إلى أن يختموه في عشرة أيام أو أقل. لكن ذلك يحتاج إلى صبر وتؤدة وتدرُّج.

---

(١) سنن أبي داود (١٣٩٥).

## ■ مقترح عملي في التربية على التلاوة

وإن قُدِّر لي أن أقترح طريقة في تربية الطلاب على تلاوة القرآن الكريم فإني سأقترح «برنامج التربية على التلاوة اليومية» وهي تلاوة قصيرة جداً: يتلو الطالب كل يوم نصف حزب من القرآن الكريم، أي ما يعادل خمس صفحات، وهذا يعني أنه سيختم القرآن تلاوة في أربعة أشهر، أي أنه سيختم القرآن الكريم ثلاث مرات في العام الواحد، ويستمر على هذه الحال لسنتين فقط، ويكون لهذا البرنامج مستلزماته المعدَّة له، كوقته ووسائل متابعته وحوافزه... إلخ. وهذا إضافة إلى برنامجه في الحفظ والمراجعة.

ولا تستقلَّ هذا القدر؛ فتراه ضئيلاً أو تظنه تقصيراً في شأن القرآن، فإنما هي بداية الطريق، وقليل دائم خير من كثير منقطع، ونحن نرى اندفاعاً من الشباب نحو الاستكثار من التلاوة، ثم لا يلبثون أن ينقطعوا شهوراً عن تلاوته.

إن هذه الطريقة -أعني تلاوته في أربعة أشهر للطالب المبتدئ- سيستفيد الطالب منها قيمةً تربوية؛ وهي الالتزام، كما سيتهيأ بعدها للارتقاء المتدرج فيطلب بنفسه أن يكون وِرده اليومي أكثر من نصف حزب.

ويتم الارتقاء بعد التأكد من نجاح الطالب في الالتزام بوِرده اليومي -بنسبة معقولة- إلى تلاوة حزب واحد من القرآن الكريم في كل يوم، أي ما يعادل عشر صفحات من القرآن الكريم، وهذا يعني أنه سيختم القرآن كل شهرين، وهذا عينُ ما كان عليه جماعة من السلف الصالح رضي الله عنهم ورحمهم. ويستمر على هذه الحال سنتين أُخريين، وهو ما يعني أنه سيختم القرآن في هاتين السنتين اثنتي عشرة ختمة، وهذا إنجاز كبير في العملية التربوية، إذ سيكون لدينا شريحة من الشباب يعيشون مع القرآن كل يوم بمسؤولية شخصية ورقابة داخلية. فلله كم من الأجور العظيمة والحسنات الكثار التي ستصب في ميزان هذا المربي، من تلاوات طلابه الدائمة ما بقوا أحياء!

ولا شك أن هذا الهدف التربوي بحاجة إلى تنظيم إداري، لنضمن الحدَّ الأدنى من النجاح، وأيّاً ما كانت الجدولة الزمانية للوِرد اليومي؛ فإن المقصود هو التدرج في الاستكثار من التلاوة والالتزام بقدر معيَّن من القرآن يومياً، وجَعْلِ ذلك هدفاً تربوياً.

وهذه المفردة -أعني التربية على تلاوة القرآن الكريم- من شأنها أن تزاحم المفردة الأخرى: حفظ القرآن الكريم، وعليه فيمكن للحلقة القرآنية أن تعيد الموازنة بين الأهداف التربوية، وتقرر نصيب كلٍّ من حِفْظ القرآن الكريم وتلاوته الجديدين بالقدر الذي يضمن سلامة الهدف.

وربما أدى ذلك إلى نقصٍ في مقرر الحفظ لصالح مقرر التلاوة؛ فأرجو ألَّا تنزعج المؤسسة القرآنية من هذا الأمر، فإن المهمة المنوطة بها تكمن في تخريج جيل ملازم للقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وعملاً.

■ **من هنا نبدأ**

أُفضِّل أن تبدأ الحلقات في العمل على تحقيق هذا الهدف التربوي الكبير في شهر شوال، إذ من قريب ودَّعنا أكرم الشهور: شهر رمضان المبارك، وقد احتدم السباق فيه بين شباب الإسلام: يختمون القرآن الكريم تلاوةً مرةً أو أكثر، ويقومون به في إمامتهم بالناس لصلاة التراويح، كما قامت سوق الحلقات القرآنية المتنوعة.

لا شك أن هذا المناخ الممتلئ بالرحمة والسكينة المجلل بالخشوع والدموع يوجِد في نفوس الشباب لذةً لقراءة القرآن الكريم وختمه، ويوجِد حبًّاً لملازمته، لا سيما في العشر الأواخر من رمضان.

هذه المعاني القلبية التي أورثها القرآن في نفوس الشباب ينبغي ألَّا تضيع هدراً في شهر شوال؛ فإن ذلك سيؤدي إلى ذبول تلك المعاني القلبية التي أورثها القرآن في قلوب قارئيه في رمضان، فيضيع المقصود منه، ويتراجع المستوى الإيماني.

ماذا لو عدَّ المربون شهرَ رمضان فترةَ إحماءٍ وتدريبٍ على تلاوة القرآن الكريم، وعدُّوا شهر شوال نقطةَ الانطلاقة في التربية

على تلاوة القرآن الكريم، والتزام ختمه وفق المقترح آنف الذكر؟ فرسموا الخطط لهذا المشروع العظيم واستثمروا الوهج القرآني في قلوب الشباب، وجعلوا من التربية على تلاوة القرآن الكريم جزءاً من المنهج التربوي ومفردة رئيسية فيه. فإن الفرصة سانحة ولا تزال السوق قائمة ولَمَا تنقضِ لذة القرآن من القلوب. اللهم ارزقنا تلاوة كتابك آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

# الحلقات والتعليم عن بُعد

من المفاهيم الحديثة التي تعمل عليها اليوم المؤسسات التعليمية العامة والعليا: مفهوم «التعليم عن بُعد» فكان لزاماً أن نعرض له بشيء من التبيين لمعلِّمي القرآن ومشرفي المؤسسات القرآنية، وتَحسُن الإشارة إلى أن مصطلحات أخرى تدخل في عملية «التعليم عن بُعد» مثل: التعليم المفتوح، والتعليم الإلكتروني.

وكثيرون كتبوا تعريفاً للتعليم عن بُعد، وهي تعريفات غير متعارضة، وإنما تعبِّر عن الزاوية التي ينظر إليها هؤلاء إلى مفهوم التعليم عن بُعد. فالحكومة الفرنسية تعرِّف التعليم عن بُعد بأنه (التعليم الذي يتم بمعزل عن وجود المعلم وجهاً لوجه أو عن قرب، في المكان الذي يتم فيه التعلم، أو وجوده المحدود في بعض الأوقات أو في مهام محددة)[1].

ويعرِّف رونتري التعليم عن بُعد بأنه (التعليم الذي يحدث عندما تكون هناك مسافة بين المتعلم والمعلم، ويتم عادة بمساعدة مواد

(١) التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، ص٤.

تعليمية يتم إعدادها مسبقاً، ويكون المتعلمون منفصلين عن معلميهم في الزمان والمكان)[1].

وتعرِّف المنظمة العالمية للتربية والتعليم «اليونسكو» التعليم عن بعد بأنه: (عملية نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله، بدلاً من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيداً أو منفصلاً عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية، وتستخدم التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين كلٍّ من الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجهاً لوجه)[2].

ونستطيع أن نستخلص من التعريفات السابقة عدداً من الخلاصات:

**أولها**: إن التعليم عن بعد ينبغي أن يكون منظَّماً؛ إداريّاً وفنيّاً وعلميّاً، كما هو الحال في المؤسسات التعليمية الاعتيادية، وهذا يعني أنه يحمل أهدافاً ومقررات وأنشطة ونحو ذلك.

**ثانيها**: الفكرة الأساسية للتعليم عن بعد أن الطلاب والمعلمين في أماكن مختلفة وقت التعلم أو التدريس أو في معظمه، ولذلك فإنهم

(١) التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، ص٥.
(٢) التعليم عن بعد مفهومه وأدواته واستراتيجياته، ص١٤.

بحاجة إلى وسيلة اتصال بديلة عن الحضور لتوصيل المعلومات ولإتاحة طريقة للتفاعل بينهم جميعاً. وتُعدُّ «التكنولوجيا» اليوم التقنية الفعالة في تسيير العملية التعليمية، لأنها تحمل خاصية البيئات الافتراضية للتعليم والتواصل عن بعد وتوفير المواد الدراسية، ولذلك يسمي البعض التعليم عن بعد «التعليم الإلكتروني»، الذي يعرِّفه بعضهم بأنه: (التعليم الذي يقدِّم المحتوى التعليمي فيه بوسائط إلكترونية، مثل الإنترنت أو الأقمار الصناعية أو الأقراص الليزرية CD.Rom أو الأشرطة السمعية/ البصرية أو التدريس المعتمِد على الحاسوب Rased Training-Computer)[1].

**ثالثها**: يجب أن توفر عمليات التعليم عن بُعد إمكانيات التفاعل المؤثر في التعليم، وتكون قادرة على تعويض النقص التعليمي الذي يسببه انفصال المعلم عن المتعلم. وقد أشار بعض المتخصصين إلى أن مفهوم البعد في هذا النوع من التعليم ليس صفة لنوع التعليم، بل إنه يجب أن يتضمن كلَّ شروط ومتطلبات التعليم المألوف الذي يجري في اللقاء العيني أو التفاعلي بين الطالب والمعلم[2].

---

(١) المجلة الفلسطينية للتعليم المفتوح، عدد١، ٢٠٠٧، دراسة: التجارب الدولية والعربية في مجال التعليم الإلكتروني، ص٢٩٣.

(٢) التعليم الجامعي المفتوح والتعلم عن بعد، ص١٣.

**رابعها**: إلغاء شرطية المكان الذي يجمع المعلم مع الطالب، بحيث ينفصل المعلم عن الطالب ولا يجتمعان، فلا حدود زمانية ولا مكانية في التعليم عن بعد، ولهذا يسميها بعض المتخصصين التعليم المفتوح.

وكثير ممن تحدَّث عن التعليم عن بُعد تتطرق إلى الحديث عن سلبياته والانتقادات عليه، وهذا أمر طبيعي، والحديث عن ذلك هو من باب أخذ الحيطة والانتباه لكل ما ينتقص من العملية التعليمية، ولكلِّ ما يعوق تقدم التعليم نحو الأهداف المرجوة.

## ■ تطور المفهوم واختلاف الأجيال

كثيرون من الذي يتكلمون عن التعليم، يؤرخون ابتداءه من العصر الحديث، وذلك باعتبار منظومة التربية الحديثة، لكن واقع المفهوم وجوهره يدل على أن التعليم الإسلامي سابق في ذلك، إذا استثنينا التعليم الإلكتروني، ومن ثَمَّ يعد المفهوم الحديث للتعليم عن بعد تطوراً طبيعياً لأساليب التعليم.

وعلى أية حال، فإن التعليم عن بعد في العصر الحديث مرَّ بأربعة أجيال:

**الجيل الأول**: التعليم بالمراسلة Correspondence Learning. وقد بدأ ظهور التعليم بالمراسلة سنة ١٨٤٠م إذ نظَّم

إسحاق بينمان دروس الاختزال بالمراسلة تزامناً مع إنشاء المكاتب البريدية المنظمة الأولى في بريطانيا، غير أن معهد توسان ولاجتشيد الذي تأسس في برلين سنة ١٨٥٦م، المتخصص في تعليم اللغات كان أول مؤسسة للتعليم بالمراسلة بالمعنى الصحيح للكلمة[١].

وعلى مستوى الجامعات انتشرت الدراسة بالمراسلة في جامعة لندن منذ ١٨٥٨م وجامعة شيكاغو منذ ١٨٩١م وجامعة إيلينوى منذ ١٨٧٤م وجامعة وسكنسون منذ ١٩٠٦م وفي كندا جامعة كوينز منذ ١٨٨٩م.

**الجيل الثاني**: نموذج الوسائط المتعددة The Multi-Media Model. وهو نموذج يعتمد على المادة المطبوعة والأشرطة السمعية والأشرطة المرئية والتعليم بمساعدة الحاسوب والأقراص المدمجة والبث التليفزيوني والإذاعي. إذ قدمت جامعة بنسلفانيا ١٩٢٢م عدداً من المقررات الدراسية عبر جاز الراديو، وقدمت جامعة ستانفورد ١٩٦٨م مقررات دراسية لطلاب الهندسة عبر التليفزيون، وفي عام ١٩٨٢ دخل الكمبيوتر المجال التعليمي[٢]. وفي الفترة ما بين ١٩٨٤-١٩٩٣م استخدم الوندوز والماكنتوش والأقراص الممغنطة باعتبارها أدوات رئيسية لتطوير التعليم[٣].

---

(١) التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، ص٧.

(٢) التعليم عن بعد مفهومه وأدواته واستراتيجياته، ص١٥.

(٣) مطالب استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم الطبيعية بالتعليم العالي، ص١٣.

**الجيل الثالث**: نموذج التعليم عن بعد The Telelearning Model. باستخدام تكنولوجيا المعلومات، ويشمل المؤثرات المرئية والاتصالات البيانية المسموعة وبرامج الأقمار الصناعية، إذ ظهرت الشبكة العنكبوتية للمعلومات «الإنترنت» وبدأ ظهور البريد الإلكتروني، وأصبح من الممكن تصميم البرامج التعليمية إلكترونياً وأصبح من الممكن أيضاً التواصل بين المعلم والمتعلم عن بعد عن طريق الإنترنت والبريد الإلكتروني[1]. بمعنى أن المؤسسات التعليمية أصبحت قادرة على تقديم برامجها التعليمية عن طريق الإنترنت، التي تتضمن مقررات إلكترونية وأفلاماً توضيحية وشروحاً تعليمية، وبإمكان المتعلم التفاعل معها كلها وتقديم الواجبات وحل الامتحانات من مكانه عن طريق الإنترنت، وهي مرحلة طفرة في التعليم عن بعد، لها تأثيرها على ما بعدها.

**الجيل الرابع**: نموذج التعليم المرن The Flexible Model. الذي يجمع بين الوسائط المتعددة التفاعلية مثل شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني والأقراص المدمجة، وكذلك الفصول الافتراضية والمكتبات الإلكترونية وقواعد البيانات والمحادثات ذات الاتصال المباشر ومؤتمرات الفيديو. ويعتمد هذا الجيل على الإنترنت،

---

(١) مطالب استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم الطبيعية بالتعليم العالي، ص١٣.

فالمواد التعليمية في أنظمته متضمنة للوسائط المتعددة ومجهزة بطريقة إلكترونية تنتقل إلى الأفراد بواسطة جهاز الحاسوب مع توافر إمكانية الوصول إلى قواعد البيانات والمكتبات الإلكترونية.

وهذا النموذج يوفر التفاعل بين المعلم والمتعلم من جهة، وبين المتعلم وزملائه من جهة أخرى، سواء كان ذلك بطريقة تزامنية من خلال برامج المحادثة ومؤتمرات الفيديو، أو بطريقة غير تزامنية وذلك باستخدام البريد الإلكتروني ومنتديات الحوار.

هذا، وقد انتشر التعليم عن بعد في كثير من البلدان العربية والأجنبية بنسَب متفاوتة وطرق متنوعة. فعلى سبيل المثال أخذت مصر بنظام التعليم عن بعد عندما بدأ التليفزيون المصري في عام ١٩٦١م في تقديم برامج تعليمية مسائية في نطاق محدود، وهكذا تطور الأمر حتى أقامت كلية التجارة والزراعة بمصر برنامج التعليم الجامعي المفتوح عام ١٩٩٠م في جامعات الإسكندرية والقاهرة وأسيوط، وهكذا يتطور التعليم عن بعد ليبلغ آفاقاً واسعة ويتخذ خطوات جبارة.

واليوم يعدُّ التعليم عن بُعد سمة من سمات التعليم في هذا العصر لكثرة البرامج التعليمية المتوافرة، ولكثرة الجامعات والمؤسسات في شتى أنحاء العالم التي تعتمده باعتباره جزءاً من منظومتها التعليمية.

■ **أدوات التعليم عن بعد**

- **وسائل التواصل الاجتماعي** Social Networking

هذه الأداة توفر التعليم المتزامن وغير المتزامن، من خلال الدردشات وتبادل الملفات التعليمية ومقاطع الفيديو والملفات الصوتية.

- **أنظمة إدارة التعلم الإلكتروني** LMS: Learning Management System

وتعرِّفها اليونسكو[1] بأنها: أنظمة متكاملة لإدارة العملية التعليمية عن بعد، مع إمكانية التوثيق وإعداد التقارير. وهناك منصات متزامنة وغير متزامنة تسمح بإنشاء الفصول الافتراضية، وتشارك الملفات، وتتضمن غرفاً للنقاش، وقنوات تعليمية مقسمة وَفْقَ المواد الدراسية، بالإضافة إلى مزايا رفع الواجبات والأنشطة وإجراء التقييمات الإلكترونية وتصحيحها تلقائياً، ويوفر بعضها مكتبات إلكترونية ومرفقات تعليمية، ويتيح إمكانية إجراء اتصال مباشر مع المتعلمين، وجدولة اجتماعات ومحاضرات، بالإضافة إلى مزايا خاصة بالمتعلمين من ذوي الاحتياجات الخاصة كالقارئ الآلي،

(١) التعليم عن بعد مفهومه وأدواته واستراتيجياته، ص٢٧.

وتعديل وتكبير حجم الخط الخاص بالنصوص، وإمكانية الاستماع للنصوص المكتوبة بدلاً من قراءتها كما يوفر بعضها الآخر إمكانية بناء محتوى تعليمي إلكتروني وَفْقَ معايير عالية.

ومن أهم المنصات التعليمية المشهورة عالمياً:

.G Suite for Education (edu.google.com)

.Edmodo (Edmodo.com)

.Blackboard System (blackboard.com)

- **تطبيقات تربوية من خلال الأجهزة الذكية** Mobile Learning

ترىٰ اليونسكو أن الابتكارات الحديثة تركزت في تقنية الأجهزة الذكية في الغالب علىٰ إنشاء المحتوىٰ الرقمي، إلىٰ شكل كتب رقمية يتم الوصول إليها، وستلعب تقنيات الهاتف المحمول دوراً متزايد الأهمية في التقييم التربوي ومنصات البرمجيات. ومن ذلك:

- منتجات Google and Microsoft: توفر إنشاء عروضاً تقديمية وتصميم المحتوىٰ وملفات إنجاز رقمية.

- EdPuzzle: يسمح بإنشاء فيديوهات تفاعلية وإجراء عمليات الدمج والقص والتعديل.

- Phet Simulations: توفر تقنيات محاكاة وأدوات تفاعلية واختبارات يستطيع المتعلم من خلالها، الربط بين ظواهر الحياة الواقعية ومختلف العلوم التي تفسِّر هذه الظواهر.

- Padlet: لتنظيم خرائط ذهنية (مفاهيمية) لتوضيح موضوع ما.

- **منصات التعلم الإلكتروني** Instructional Support Platforms

هي منصات تعليمية مفتوحة حول العالم، ويطلَق عليها (MOOC)، ووفقًا لليونسكو فإنها توفر مسارات التعلم والدروس والمحاضرات والمقررات المتخصصة، لكنها لا توفر ميزة الانضمام إلىٰ الفصول الافتراضية. وأبرز هذه المنصات: Open 2 Study ، MIT ، Edx ، Future Lean ، Udacity ، إدراك، البوابة التعليمية.

## ■ حاجتنا إلى التعليم عن بعد

قد يكون من المناسب أن يكون لدى معلِّم الحلقة تصوُّر أوَّلي عن مفهوم «التعليم عن بعد»، لكن المهم أن يكون لدى المؤسسات القرآنية تصور أفضل، يثمر تطبيقات عملية متنوعة، تستثمر المفهوم في تعليم القرآن والتربية على أحكامه وتوجيهاته.

لقد أصبحت التقنية الحديثة جزءاً حقيقيّاً من حياتنا اليومية، وأصبحت الأجهزة وسيطاً لكثير من الأعمال والتفاعل الاجتماعي؛ فلا بد من استثماره على الوجه الصحيح.

ويحسن التنبيه هنا إلى أن يكون تعليم القرآن عن بعد خاضعاً للتقويم المستمر، ولا يكون كذلك إلا إذا صنعنا معايير جودة له. والتعليم عن بعد لا يُعد بديلاً عن التعليم الاعتيادي؛ وإنما هو صيغة متممة له، ومن ثَمَّ سنكون مراعين لهذه النقطة من حيث الأهدافُ التعليميةُ وطرائقُ التدريس ونحو ذلك.

ويمكن الاستفادة من المعايير اللازمة لبرامج التعليم عن بعد التي أصدرها اتحاد الجامعات العربية، والتي تنخرط في عدد من المحاور والمجالات[1]، بعد التحوير والتعديل بما يراه المختصون، وهي:

١. تصميم المادة العلمية وتطويرها.

٢. توفير البنية التكنولوجية المناسبة لتقديم البرامج.

٣. الخدمات والمساندة الطلابية.

٤. جودة أعضاء هيئة التدريس.

٥. تقييم فاعلية العملية التعليمية.

---

(١) الدليل العملي لجودة برامج التعلم عن بعد، ص٦ وما بعدها.

# الفصل الثالث

## إطلالة على الحلقات الأولى

أنى لي استقصاء جهود أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليم القرآن الكريم؟ ويحملك الحديث عن جهوده على الفخر والاعتزاز! لقد كان هذا العملاق يجهد ليله ونهاره لتثبيت دعائم الدين وتأسيس حضارة المسلمين، وكان ينظر إلى الجانب التعليمي والتربوي بالقدْر نفسه الذي كان ينظر فيه إلى الجانب الجهادي والعسكري والفتوحي، ولربما أكبر من ذلك، وكان هو بذاته لا ينفك عن تعلُّم القرآن الكريم، قال ابنه عبد الله: (تعلَّم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما تعلمها نحر جزوراً)[1]، وكان له حلقة يتدارس فيها القرآن وتفسيره مع ابن عباس وابن زيد وغيرهما[2]. وفي الجانب الآخر كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصبُّ اهتمامه على تعليم الناس كتاب الله، ولذلك رتب لثلاثة معلمين بالمدينة -كانوا يعلِّمون الصبيان- رزقاً شهرياً، لكل واحد منهم خمسة عشر درهماً[3].

وحين وجه الجيوش إلى الأمصار لم يُغفل جانب التربية والتعليم، فكانت إحدى مهام الإمارة لمن تولى المصر بعد فتحه بالجهاد: العناية

(١) تاريخ الإسلام ٢/ ١٤٦.
(٢) جامع البيان ٢/ ٣١٩.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٨٢٨).

بتعليم الناس، فأرسل إلى البصرة أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما ذهب إليهم قام في الناس خطيباً فقال: (إن أمير المؤمنين بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ، وأنظف لكم طرقكم)[1]. وأرسل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة، وبعث إليهم كتاباً فيه: (إني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد، من أهل بدر، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، قد آثرتكم بعبد الله على نفسي). وفي رواية: (يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا وهاهنا؛ قد بعثت إليكم بعبد الله، وخِرْتُ لكم، وآثرتكم به على نفسي)[2]. قال الخطيب: (وبعثه إلى أهل الكوفة ليقرئهم القرآن ويعلِّمهم الشرائع والأحكام، فبث عبد الله فيهم علماً كثيراً، وفقَّه منهم جمّاً غفيراً)[3].

وكتب يزيد بن أبي سفيان والي الشام إلى عمر: (إن أهل الشام قد كثروا، وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلِّمهم القرآن ويفقِّههم، فأعنِّي برجال يعلِّمونهم. فدعا عمر الخمسة: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء وأُبي بن كعب وأبا أيوب الأنصاري، فقال:

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٥٧.
(٢) الطبقات ٨/ ١٣٠-١٣١.
(٣) تاريخ مدينة السلام ١/ ٤٨٢.

(إن إخوانكم قد استعانوني من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم، وإن انتدب ثلاثة منكم فلْيخرجوا). فقالوا: ما كنا لنستهم؛ هذا شيخ كبير -لأبي أيوب- وأما هذا فسقيم -لأُبيٍّ- فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء. فقال عمر: (ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يَلْقَن، فإذا رأيتم ذلك، فوجِّهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليُقِم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين). قال: فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة بن الصامت، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين فمات في طاعون عمواس، ثم صار عبادة بعد إلى فلسطين، وبها مات. ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات[1].

وكان أمراء الأمصار على إدراكٍ تامٍّ بسياسة عمر بن الخطاب التعليمية مما كان يؤكِّد عليهم، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إحدى خُطَبه: (اللهم إني أُشهدك على أمراء الأمصار، فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسُنة نبيِّهم، وأن يعدلوا بينهم ويقسموا فيئهم بينهم)[2].

كما أبقى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدداً من أئمة القرآن والتفسير في المدينة النبوية، كعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٤.
(٢) الطبقات ٣/ ٣١١.

ولم تلبث تلك الأمصار عامرة بالقراء والعلماء، بفضل الله تعالى ثم بفضل الاهتمام العمري بتعليم القرآن، فضلاً عن مدينتي الإسلام مكة والمدينة.

وتخرَّج بهذه المدارس أئمة التابعين رحمهم الله، كعطاء ومكحول والأسود وعبد الله بن عامر وسعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبير وابن أبي ليلى وإبراهيم النخعي، وسائر الثلة التي انتفعت بها أمة الإسلام إلى هذا الزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسنستعرض بإذن الله في هذه الورقات نموذجين تعليميين أو مدرستين قرآنيتين: مدرسة ابن مسعود بالكوفة ومدرسة أبي الدرداء بدمشق، لنطلَّ على معالم التعليم القرآني في ظل إدارتهما رضي الله عنهما، ونقتبس من نور هديهما، فهما من أجلِّ علماء الصحابة وهما ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ.

## عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومدرسة الكوفة

بعد التكليف العُمري؛ انطلق عبد الله بن مسعود مع أخيه عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الكوفة لأداء المهمة، وابتنى داراً إلى جانب المسجد[1].

كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن يتحرى في الأداء، ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ[2]. يقول الذهبي عنه: (كان معدوداً في أذكياء العالم)[3]. وأورد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله عنه: (إن أشبه الناس هدياً ودلاً وقضاءً وخطبة برسول الله ﷺ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع... لعبد الله بن مسعود)[4]. ويقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه: (والله الذي لا إله غيره؛ ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[5].

---

(١) الطبقات ٨/ ١٣٦.
(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٠.
(٥) البخاري (٤٩٨٩).

وتراوحت إقامة المعلِّم الرباني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الكوفة ما بين السنة السابعة عشرة (١٧هـ) تقريباً إلى السنة الثانية والثلاثين (٣٢هـ) تقريباً زمن خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أي أنه مكث في الكوفة قرابة خمس عشرة سنة، وتخرَّج على يديه وبين ناظريه جيل من أغزر الناس علماً بكتاب الله العزيز وفهماً لمعانيه وأحكامه، وأجودهم أداءً له، إذ كان هو في الأساس إماماً في أداء القرآن الكريم وفهم معانيه وأحكامه، قال أبو مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا والله، لا أعلم رسول الله ﷺ ترك أحداً أعلم بكتاب الله من هذا القائم).[1]

لقد قام بجهد تاريخي في تخريج القراء والعلماء، أقرأهم القرآن وعلمهم أحكامه، ورباهم على اتِّباعه. وأشار قيس بن مروان إلى مثابرة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليم الناس القرآن الكريم، إذ أتى إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر، وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، فقال: ومن هو؟ ويحك. فقال: ابن مسعود. فما زال يطفئ غضبه ويتسرى عنه حتى عاد إلى حاله، ثم قال: (ويحك، والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٥.

كان طلاب مدرسة المعلم القدوة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتأثرون به ويقتدون به في سمته وتعليمه، فهذا زيد بن وهب يقول: (رأيت بعينَي عبد الله أثرين أسودين من البكاء)[1]. وكان علقمة بن قيس يُشَبَّه بعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]. بل قال ابن مسعود عنه: (ما أقرأُ شيئاً وما أعلم شيئاً إلا وعلقمة يقرؤه ويعلمه)[3].

كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلِّم تلاميذه أحكام الآيات وآدابها ويربيهم عليها وَفْق طريقة متدرجة، لا عجلة فيها ولا إسراع، يقول أبو عبد الرحمن السلمي وهو ممن عرض القرآن على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به. وسيرث بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم)[4].

وهنا معنى إضافي تفيده هاتان الروايتان في إقراء القرآن وتعليمه، وهو تعليم الطلبة أحكام الآيات وآدابها والتربية عليها بتدرج، بحيث لا ينتقل إلى غيرها من الآيات إلا بعد أن يرى منهم التأثر والاستيعاب والتطبيق.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٥.
(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٨٥.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٤٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠.

لقد كان تعليم القرآن يقتضي فهم المراد من آياته، ومن خلال ذلك نقل أولئك الطلبة كثيراً من مرويات التفسير. فعن مسروق بن الأجدع قال: (جاء رجل إلى عبد الله فقال: إني تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه، يقول في هذه الآية: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[الدخان:١٠]. إلى آخرها: يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام! قال: فقال عبد الله: (من علِم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من فقه الرجل أن يقول لِمَا لا يعلم: الله أعلم. إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنيِّ يوسف فأصابهم قحط، وجهدوا حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فينظر ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[الدخان:١٠-١١]. فأتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله! استسق الله لمضر فإنهم قد هلكوا، قال: فدعا لهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾[الدخان:١٥]. فلما أصابهم المرة الثانية عادوا، فنزلت: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[الدخان:١٦] يوم بدر)[1].

---

(١) المسند (٣٦١٣).

كما حفظ أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكثير من وصاياه وتوجيهاته التربوية، منها: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فلْيفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء). ومنها: (إنما هذه القلوب أوعية؛ فأشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره).

وكان يخوفهم من الذنوب ويبين خطرها على الحفظ، فيقول: (إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلَّمه للخطيئة يعملها)[1]. إلى غير ذلك من الكلمات النافعة والتوجيهات التربوية التي يتربى عليها شباب الأمة منذ ذلك الوقت جيلاً بعد جيل، ونسأل الله الكريم أن ينفعنا بها.

وحين عزم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الرجوع إلى المدينة زمن خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع أصحابه، فقال: (والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم منكم مِن أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن، إن هذا القرآن نزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط، فإذا قال القارئ: هذا أقرأني، قال: أحسنت، وإذا قال الآخر، قال: كلاكما محسن، فأقرأنا: إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٣٠ - ١٣١.

إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، واعتبروا ذلك بقول أحدكم لصاحبه: كذب وفجر، وبقوله إذا صدَّقه: صدقت وبررت. إن هذا القرآن لا يختلف، ولا يُستَشنُّ ولا يَتْفَهُ لكثرة الرد، فمن قرأهُ على حرف فلا يدعه رغبةً عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علم رسول الله فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من يجحد بآية منه يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: اعجل، وحيَّ هلا، والله لو أعلم رجلاً أعلم بما أنزل الله على محمد ﷺ منِّي لطلبته، حتى أَزدادَ علمَه إلى علمي، إنه سيكون قوم يميتون الصلاة، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً، وإن رسول الله كان يعارَض بالقرآن في كل رمضان، وإني عرَضتُ في العام الذي قُبِض فيه مرتين، فأنبأني أني محسن، وقد قرأتُ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة)[1]. ثم رحل إلى المدينة.

وبقي مسجد الكوفة عامراً بالقرَّاء والحفظة وطلبة العلم، لهم دويٌّ بالقرآن، وذات مرة سمع الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا المسجد ضجة شديدة، فقال: (ما هؤلاء؟) قالوا: قوم يقرؤون القرآن أو يتعلمون القرآن. فقال: (أما إنهم كانوا أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) المسند (٣٨٤٥).

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ١٦٢.

وقد خلَّف عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرِكة عظيمة من أوعية العلم وحملة القرآن، أفادت منهم الأمة الإسلامية في كل الأمصار وعبر الأزمان، يأتي في مقدمتهم العشرات من الرجال الثقات، قال إبراهيم التيمي: (كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبد الله)[1].

وعلى رأسهم ستة هم أبرز التلاميذ وأنجب الحفاظ والعلماء، يسرد أسماءهم إبراهيم حين يقول: (كان أصحاب عبد الله الذين يُقرِئون الناس القرآن ويعلمونهم السنة ويصدر الناس عن رأيهم ستة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعَبِيدة، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس)[2].

وفيما يلي نستعرض أهم القراءات التربوية والإدارية في مدرسة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرآنية:

### ■ أولاً: التدرج في التربية والتعليم

قال علقمة بن قيس: (قرأت القرآن في سنتين)[3]. وهو أكبر طلاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدراً وفهماً وعلماً، وهذا يعني أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ بالمنهج النبوي في تعليم القرآن: (كنا

---

(١) الطبقات ٦/ ١٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧.
(٣) معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥.

لا نتجاوز عشر آيات حتى...) الأمر الذي ورثه طلابه في تعليمهم لطلابهم، كما كان المقرئ أبو عبد الرحمن السلمي يفعل، إذ كان يعلِّم الطلاب خمس آيات خمس آيات، لم يكن تحديد عدد الآيات مقصداً، بل الفكرة الكامنة في تحديد الآيات وهي التدرج في حفظ القرآن والتربية على معانيه وأحكامه وآدابه.

وكذلك كان التوجيه والإرشاد والموعظة، فعن عبد الله بن مرداس قال: (كان عبد الله يخطبنا كل خمسٍ على رجليه، فنشتهي أن يزيد)[1]. يحبون أن يستمعوا إلى المزيد من حديثه المفيد، الحديث الذي يرفرف بأرواحهم نحو الآخرة، لكنه لا يستعجل الغرس لأن ذلك مضرٌ بالمتربي.

### ■ ثانياً: التلازم بين حفظ القرآن والتربية على أحكامه وآدابه

مر بنا قول أبي عبد الرحمن السلمي: (كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به). هكذا كان هدي النبي ﷺ في تعليمه القرآن لأصحابه، وهكذا كان أصحابه في تعليمهم القرآن لطلابهم: تعليم القرآن حفظاً وتجويداً وأداءً وأحكاماً وآداباً، ولم يكونوا بحال من الأحوال يستسيغون أن يحفظ المرء كتاب الله ثم هو لا يعقل

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٢.

معانيه، أو لا يتأدب بآدابه، أو لا يعمل بأحكامه، لذلك أخبر عن قومٍ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، إخباراً على سبيل الإنكار؛ أن يحفظ المرء القرآن حفظاً مجوَّداً لكن القرآن لا يصل إلى قلبه وعقله ووجدانه.

إذن، لم يكن الحفظ المجرَّد طريقة متبعة عند ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان يقرنه ببيان معاني القرآن وأحكامه وآدابه، وما قررناه في طريقة الصحابة في حفظ القرآن سابقاً تجده هنا ماثلاً قائماً. قال مسروق: (كان عبد الله يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار)[1]. فالتعليق على الآيات وشرحها والتربية عليها، وبيان مراد الله منها، كل ذلك من مهام معلم القرآن، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع كونه مشدِّداً في الأداء متحرِّياً في الضبط؛ إلا أنه لا يُغفل جانب المعاني والأحكام. قال الأسود: (لقد رأيت عبد الله يعلِّم علقمة التشهد كما يعلمه السورة من القرآن)[2].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبين الأخطاء حال وجود فهم خاطئ، يحدثنا عمرو بن شرحبيل: (أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له: يا أبا ميسرة! ما تقول في الخنَّس الجوار الكنس؟ قال: قلت: لا أعلمها إلا بقر الوحش. قال ابن مسعود: وأنا لا أعلم فيها إلا ما قلت)[3]. وكما في

(١) جامع البيان ١/ ٣٦.
(٢) الطبقات ٨/ ٢٠٩.
(٣) الطبقات ٦/ ١٠٦.

رواية مسروق السابقة حول آية: «يوم تأتي السماء بدخان مبين». وهذا يدل على وجود منهجية لتفسير القرآن الكريم، تعلَّمها الطلبة، لذلك جاء مسروق مستنكراً هذا النوع من التفسير، وهو التفسير بالرأي، المخالف للتفسير الذي يسمعه من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وامتلأت كتب التفسير بأقوال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي نقلها أصحابه في الكوفة، وأصبحت عمدة يرجع إليها طلاب العلم، ومما استقر عليه الأمر أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعد في كبار مفسري الصحابة.

وظهر أثر التربية القرآنية على سلوك أصحابه ومواقفهم، قال الشعبي: (ما رأيت أحداً كان أعظم حلماً ولا أكثر علماً ولا أكف عن الدماء من أصحاب عبد الله؛ إلا ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ)[1].

## ■ ثالثاً: الاعتناء بالطلبة النجباء والطاقات المتميزة

كان مسجد الكوفة يغص بالمتعلمين وطلبة القرآن، لكن كتب التراجم أفاضت بالحديث عن الستة المذكورين آنفاً، الذين كانوا على قدر عال من العلم والسمت، إلى درجة أن قابوس بن أبي ظبيان سأل أباه قائلاً: (لأي شيء كنت تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي ﷺ؟) فقال أبوه: (أدركت ناساً من أصحاب النبي يسألون

---

(١) الطبقات ٨/ ١٣٤.

علقمة ويستفتونه)[1]. بل إن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه)[2].

الروايات تفيد بأن هذه النخبة من طلاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانوا على قدر عالٍ من الفهم والنجابة والحرص على الاستفادة، ومن ثَمَّ زادت عنايته بهم، بتعليمهم وتربيتهم، حتى وصلوا إلى علوٍّ في الشأن، وتسنموا قياد التعليم والإقراء.

## ■ رابعاً: التوجيه التربوي

لم يكن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقرئاً فحسب، بل كان أيضاً موجِّهاً، وبعبارة أخرى قد تكون هي الأكثر دقة: لم يكن المقرئون من أصحاب النبي ﷺ يفصلون بين الإقراء والتربية.

ونقل عنه أصحابه كثيراً من التوجيهات التربوية التي ينتفع بها الناس إلى يومنا هذا، كقوله: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون...). ومن توجيهاته أيضاً: (إذا سمعت الله يقول «يا أيها الذين آمنوا» فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨.

ينهى عنه)[1]. وكان يحرص أن تقع توجيهاته الموقعَ الحسنَ، ويتخذ الإجراءات في ذلك، مثل التفريق بين المواعظ بمدة زمنية طرداً للملل والسآمة.

## ■ خامساً: المعايشة التربوية

لم يكن معلم القرآن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليعلِّم الطلاب وهو في معزل عن مخالطتهم ومعايشتهم. كيف وقد تلقَّى هذا الهدي من رسول الله ﷺ.

تأمل دلالة هذا الأثر الذي رواه إبراهيم أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كنَّى علقمة أبا شبل، قبل أن يولد له. قال فسئل، فحدَّث علقمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كنَّاه أبا عبد الرحمن قبل أن يولد له[2]. وروى إبراهيم أيضاً عن علقمة قال: (كنت رجلاً قد أعطاني الله حُسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إليَّ، فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدنا فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حُسن الصوت زينة القرآن)[3].

لقد كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدرك أن التربية الإيمانية تقتضي المعايشة والمخالطة، لِمَا لها من فاعلية في تعميق المعاني الإيمانية،

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٣٠.
(٢) المستدرك ٣/ ٣٥٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨.

وتمتد المعايشة إلى المشاركة في شؤون الحياة اليومية كالأكل والشرب، ولذلك لم يكن معهوداً القول بأنهم «طلاب» بل يقولون «أصحاب». وكلنا ندرك الفرق بين الأصحاب والطلاب من المعايشة والمخالطة والقرب، قال علقمة: أُتِيَ عبد الله بشراب، فقال: أعط علقمة، أعط مسروقاً، فكلهم قال: إني صائم. فقال ابن مسعود: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[النور:٣٧][1]. فأنت تلاحظ مصاحبة في ماجريات يومية، ولهذا المعنى تأثر الطلاب كثيراً بشيخهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وظهر ذلك التأثير على سمتهم وسلوكهم، قال معمَر لجلسائه: (قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله هدياً ودلاً وسمتاً، فقاموا معه حتى جلسوا إلى علقمة)[2].

## ■ سادساً: إعداد القيادات

مكث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم القرآن في مسجد الكوفة قرابة خمس عشرة سنة، وكان يدرك بحِذقه أنه مهما طال به الزمان في هذه المهمة العظيمة؛ فإنه يوماً ما سيترك مكانه، بوفاة أو رحيل، فكان لزاماً أن يبني صفّاً قيادياً يرث الرسالة من بعده، ويبلِّغها للأجيال القادمة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.

ولقد كان من بين طلاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اشتهروا بـ «الأصحاب». وعلى رأسهم الستة الذين ذكرتهم سابقاً، قال العجلي: (كان عبيدة أحد أصحاب عبد الله بن مسعود الذين يقرِئون ويفتون)[1]. وقال ابن المديني: (لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة: زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس، وأعلم الناس بابن مسعود: علقمة والأسود وعبيدة والحارث)[2].

وما ذكره ابن المديني إضافة إلى المرويات الأخرى يمكن أن يعطينا تصوراً عن طبقات أصحاب ابـن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التعليمية والتربوية فمنها عموم الطلاب، وهم يمثلون قاعدة الهرم، ويعلو عليهم الأصحاب، وهم أقل من العموم ممن حمل علم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونقله إلى الأمة، ويعلو عليهم الخاصة من الأصحاب، وهم الستة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وأبو ميسرة والحارث. أما علقمة بن قيس فيتربع على رأس الهرم الطلابي، إذ قال عنه شيخه: ما أعلم شيئاً ولا أقرأ شيئاً إلا وعلقمة يعلمه أو يقرؤه.

قد يحتاج عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هذه القيادات لتساعده في مهمته التعليمية والتربوية، وأحياناً يمنحها الفرصة لتخوض غمار

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.

التجربة الجديدة وتتعلم منها، هذا ما يفسر كون عبيد بن نضلة أحد القراء النجباء قرأ على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقرأ أيضاً على علقمة[1].

في موقف آخر، في الحج تحديداً، يحدثنا رباح بن أبي المثنى قائلاً: (كان عبد الله وعلقمة يصفَّان الناس صفين عند أبواب كندة، فيقرئ عبد الله رجلاً ويقرئ علقمة رجلاً، فإذا فرغا تذاكرا أبواب المناسك وأبواب الحلال والحرام، فإذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى عبد الله، أشبه الناس به سمتاً وهدياً)[2].

## ■ سابعاً: التقييم

تنقل المرويات ثناء عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أبرز طلابه: علقمة بن قيس. هذا الثناء هو تعديل لعلقمة، وباللغة التربوية: تقييم.

وحين اجتمع بطلابه في ختام عمله المبارك قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم: (والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم منكم مِن أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن)[3]. إن هذا الكلام يعدُّ شكلاً من أشكال التقييم، تقييم للطلبة، وتقييم للعمل، ولهذا عبَّر عن شعوره بالارتياح لنتيجة جهده التعليمي خلال تلك المدة الزمنية التي أمضاها في مسجد الكوفة.

---

(١) الطبقات ٦/ ٢١١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.
(٣) المسند (٣٨٤٥).

# أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحلقات دمشق

مكث أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دمشق خمسة عشر عاماً تقريباً، يقرئ الناس القرآن ويعلمهم أحكامه وآدابه، ويرجع الفضل في إبداع فكرة حلقات القرآن الكريم إلى الله ثم إليه، فهو الذي سن هذه الحِلَق لتعليم القرآن الكريم[1]. وكان طلابه يزيدون يوماً بعد يوم حتى تجاوزوا الألف طالب، وكان منظرهم وهم يحيطون بأستاذهم في دخوله جامع دمشق وخروجه منه يضاهي منظر السلطان ومعه أتباعه، إجلالاً وتوقيراً وحرصاً[2].

ازداد عدد الطلاب، ففي دمشق كثيرٌ ممن يحرص على تعلُّم القرآن، ووجود مقرئ كأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعد غنيمة يجب اقتناصها، فبلغ عدد الطلاب ألفاً وسِتَّمائة، يقول مسلم بن مشكم: (قال لي أبو الدرداء: اعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفاً وستمائة ونيفاً، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح انفتل وقرأ جزءاً فيحدقون به يسمعون ألفاظه)[3]. هذه الرواية تصور لنا شيئاً

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦.
(٢) انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦.

من إدارة هذه الحلقات، فالطلبة ينخرطون ضمن مجموعات صغيرة، وكل مجموعة تضم عشرة من التلاميذ، وهذا يعني أن جامع دمشق يحتضن أكثر من مئة وستين حلقة.

كما أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبدأ عمله من صلاة الفجر، إذ يبدأ بقراءة جزئه على مسمع من الطلبة وهم يحدقون به، يستمعون ويتعلمون منه الأداء وضبط الألفاظ.

ولسويد بن عبد العزيز رواية تضيف لنا فائدة في طريقة إدارته لحلقات الجامع، يقول: (كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك)[1]. وهذه الرواية أفادت أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتابع سير الحلقات من مكان محدد هو المحراب، كما أفادت وجود «العريف» على كل حلقة من الطلبة، والعريف هنا هو القيِّم والسيد على الحلقة يلي أمور الطلاب، ويتعرف الشيخ منه أحوالهم[2]، فهو يقوم مقام أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويرجع هذا «العريف» إليه في تنظيم أمر الحلقة.

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٨.

(٢) انظر في هذا المعنىٰ في لسان العرب ٩/ ٢٣٨.

كما تفيد رواية سويد أن الطلبة يقرؤون على العريف فيجيزهم إذا أجـادوا، أو يصحح غلطهم، فـإذا غلط العريف رجع إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليصحح غلطه.

وفي حين أجاز العريف الطالب فإنه يجب عليه أن يعرض ما حفظه على أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليجيزه إجازة نهائية[1]، وبهذا يصبح العريف مسؤولاً عن العشرة الذين يقرؤون عليه، إما أن يصحح أغلاطهم، أو يحيلهم إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليعرضوا عليه فيجيزهم.

والروايات التي تعرضت لحلقات أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شحيحة، وهنا نلاحظ أمرين:

أولهما: أن الاعتناء بنقل آليات العمل التربوي والإداري لتعليم القرآن كان قليلاً في عهد الصحابة وتابعيهم، ولعل ذلك يرجع -والله أعلم- إلى تركيز جهودهم على العمل ومتابعة أهداف العمل التعليمي، ولانعدام التصنيف في عهدهم.

وثانيهما: إن أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا أكثر نقلاً لعلمه وتوجيهاته من أصحاب أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولكننا من خلال هذه الروايات القليلة جداً يمكننا أن نلتقط بعض الإشارات التي ستفيدنا في إدارة الحلقات تربوياً:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٣.

## ■ أولاً: التنظيم الإداري

ويظهر في عدة جوانب، أهمها: الهيكل التنظيمي الهرمي لإدارة الحلقات. فالروايات تفيد ترؤُّس أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإدارة الحلقات، حيث المسؤولية الكاملة عن سيرها وعن الطلبة الملتحقين بها. ويقع «العرفاء» في التنظيم الإداري لهذه الحلقات تحت رئيسهم، وهم الطلبة النجباء، حيث يشرف على أعمالهم، ويحمل عنهم ما لا يستطيعون حمله، وفي المقابل يقومون مقام أبي الدرداء داخل الحلقات، ويتجاوز عددهم مئة وستين عريفاً. ثم يقع في قاعدة هذا العمل الطلبة داخل حلقاتهم، بحيث ينتظم في كل حلقة عشرة من التلاميذ، ويتم التواصل الإداري وفق هذا التنظيم الإداري: (فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم، رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك)[1].

**الجانب الثاني**: توزيع الأدوار. فهؤلاء النجباء يوكِل أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم مهمة العرافة، ومسلم بن مشكم يوكل إليه مهمة الإحصاء.

**الجانب الثالث**: التفويض. كان النجباء الذين عيَّنهم أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرفاء في حلقاتهم يقومون بمهام المعلم، يقرئون الطلبة

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٨.

القرآن ويصححون أغلاطهم ويحيلونهم إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليجيزهم، ويتابعونهم.

**الجانب الرابع**: البرنامج اليومي المنظم. تفيدنا الروايات -على قلتها- بوجود برنامج يومي لهذه الحلقات، يسير بشكل واحد منظم، يبدأ بصلاة الفجر، ثم يتلوها وِردٌ يقرؤه أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والطلاب يحيطون به، يستمعون إلى قراءته، ويلاحظون أداءه ومخارج الحروف، فيصحِّحون ألفاظهم على قراءته، ثم تتشكل الحِلَق، في كل حلقة عشرة طلاب، وعليهم عريف، وهذا يعني ثبات كل طالب في حلقته، ومن يجيزه العريف يحيله إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإجازة النهائية، وإلا صحح العريف للطالب، وإن غلط العريف صحح له أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا البرنامج اليومي المنظم مما استحدثه أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ دعت الحاجة إليه لكثرة الطلاب، ولأهمية البرنامج: إقراء القرآن، كما أن دمشق تعد حاضرة ضاربة في التاريخ موغلة في التمدن، ولديها تفنن تشرَّبته بحكم موقعها ومكانتها، فكان هذا التنظيم الذي استحدثه أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليم القرآن الكريم مواكَبةً منه لمتطلبات الزمان والمكان، وانفتاحاً على واقعه، عن يزيد بن أبي مالك قال:

(وهو الذي سَنَّ هذه الحِلَق للقراءة)[1]. فكانت النتيجة: نجاحاً في الأداء، وازدياداً في عدد الطلاب الذين حفظوا القرآن الكريم أو أجزاء منه.

إننا بحاجة ملحَّة إلى أنْ نقف هنا وقفة تفكُّر وتأمُّل في الطريقة التي يفكر بها أصحاب النبي ﷺ وهم يحملون رسالة القرآن ودعوة الإسلام للناس، وكيف يفرِّقون بين الثابت والمتغير، وبين الأصيل والمحدث الدخيل، وبين الوسائل والأهـداف، وبين المشترك والخاص.

### ■ ثانياً: إعداد القيادات

وذلك من خلال تفويض العرفاء والإشراف عليهم، وهذا يشبه «التدريب علىٰ رأس العمل». ويظهر ذلك جليّاً في أفضلهم: عبد الله بن عامر اليحصبي، أحد رؤوس القراءات فيما بعد، وأصبحت حلقات جامع دمشق من المواطن التي تخرِّج القراء والحفاظ والمجوِّدين.

### ■ ثالثاً: المتابعة

كان أبو الـدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطوف على الحلقات، فإذا أحكم الرجل في حلقته تحول إليه يعرض إليه[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٣.

إن أي جهد بشري يحتاج إلى متابعة ليتحقق تقويمه وتجويده وتطويره، وإلا فإن الإحصاءات والتقارير وحدها تظهر الحَسَن وتستر القبيح، وتخدع المسؤول، فمن اللازم أن تكون المتابعة أحد أركان الإدارة الناجحة.

## ■ رابعاً: التوجيه التربوي

لقد حفلت كتب التراجم وكتب الرقائق بالتوجيهات التربوية التي كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يربِّي بها تلاميذه، والتي تفيض بنور الوحي، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ويلٌ للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات)[1].

كلمات وتوجيهات متنوعة يصحح بها مسار التعلم ومسار التعبد ومسار التكسب، أفادت منها الأمة إلى وقتنا هذا. لقد كانت هذه التوجيهات مؤثرةً في تكوين شخصية حافظ القرآن، ومحفزة له في الازدياد من الطاعات.

## ■ خامساً: المعايشة التربوية

عن أبي مالك قال: (كان أبو الدرداء يصلي، ثم يُقرئ ويَقرأ، حتى إذا أراد القيام قال لأصحابه: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم؛ وإلا قال: اللهم إني أشهدك إني صائم)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦.

والصحابة يدركون -وهم الذين تربوا على يد النبي ﷺ- أن التربية والتعليم لا يكتملان دون معايشة، بل كثير من التوجيهات التربوية إنما تنبع من ملاحظات أو ثغرات أو فرص يقتنصها المربي أثناء معايشته لطلابه.

## ■ سادساً: اهتمامه ببيان معاني القرآن الكريم وتفسيره

لم يكن أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُغفل الجانب التعليمي في بيان معاني كلام الله تعالى، ومن ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[فاطر:٣٢]. قال: «السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة»(١).

**وبعد:**

فهذا عرض لأبرز مدرستين قرآنيتين في عصر الخلافة الراشدة، اللتين لم تكونا مجرد حلقات لحفظ القرآن الكريم، بل كانتا جامعتين لحفظ القرآن وضبطه وتعليم أحكامه وآدابه والتربية عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مزيداً.

---

(١) المستدرك ٢/ ٤٦٢.

# المراجع


- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.
- **آثار ابن باديس**، د. عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ٢٠١٤م.
- **أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم علىٰ التحصيل الدراسي والقيم الخلقية**، عماد بن سيف العبد اللطيف، دار كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٣١هـ.
- **أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي**، د. علي بن إبراهيم الزهراني، بحث مقدَّم للملتقىٰ الثالث للجمعيات الخيرية ١٤٢٩هـ.
- **أخلاق حملة القرآن**، الآجري، ت: محمد عمرو عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- **الأخلاق والسير**، ابن حزم، ت: إيفار رياض، دار ابن حزم، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- **أدب الدنيا والدين**، الماوردي، دار الكتب العلمية.
- **إطار مرجعي للتقويم التربوي**، أ.د. إبراهيم بن مبارك الدوسري، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤٢٢هـ.

- **أطر العقل (نظرية الذكاءات المتعددة)**، هوارد قاردنر، ترجمة د. محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٥هـ.
- **الإفصاح عن معاني الصحاح**، ابن هبيرة، ت: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ط٢، ١٤١٧هـ.
- **بحوث في أصول التفسير**، د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **البداية والنهاية**، ابن كثير، دار الحديث، ١٤١٤هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.
- **بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد**، ابن تيمية، ت: موسىٰ الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **تاريخ الإسلام**، الذهبي، ت: د. بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠١١م.
- **تاريخ مدينة السلام**، الخطيب البغدادي، ت: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٤٣٣هـ.
- **التبيان في آداب حملة القرآن**، النووي، ت: زهير شفيق الكبي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ.
- **التجارب الدولية والعربية في مجال التعليم الإلكتروني**، د. محمد سعيد حمدان، المجلة الفلسطينية للتعليم المفتوح، عدد١، ٢٠٠٧م
- **التحرير والتنوير**، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلا المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، دار الكتب العلمية.
- **تذكرة السامع والمتكلم**، ابن جماعة الكناني، ت: عبد السلام عمر علي، دار الضياء، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **التعليم الجامعي المفتوح والتعلم عن بعد تجارب ونماذج عالمية معاصرة**، خالد صلاح حنفي، دار الوفاء، ط١، ٢٠١٧م
- **التعليم عن بعد مفهومه، أدواته واستراتيجياته**، اليونسكو، ٢٠٢٠م
- **التعليم عن بعد والتعليم المفتوح**، د. طارق عبد الرؤوف عامر، دار اليازوري، ط١، ٢٠١٣م.
- **التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، لي آيرز** شلوسر ومايكل سيمونسن، ترجمة: د. نبيل جاد عزمي وآخرون، مكتبة بيروت، ط٢، ٢٠١٥م.
- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٣٢هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، اعتنىٰ به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ.
- **جمال القراء**، د. إبراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٤هـ.

- **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١١، ١٤٣٥هـ.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير الطبري، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
- **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب، ت: شعيب الأرناؤوط، الرسالة، ط٧، ١٤١٧هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، دار الكتب العلمية.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر.
- **دراسة في السيرة**، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، ط١٣.
- **الدليل العملي لجودة برامج التعلم عن بعد**، مجلس ضمان الجودة والاعتماد في اتحاد الجامعات العربية، ٢٠٢٠م
- **دليل مفاهيم الإشراف التربوي**، الإدارة العامة للإشراف التربوي، وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٧هـ.
- **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، ط١٧، ١٤٢٦هـ.
- **زاد المعاد**، ابن القيم، ت: شعيب وعبد القادر الأرنـاؤوط، مؤسسة الرسالة ط٢٥، ١٤١٢هـ.
- **السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.
- **سنن الترمذي**، ت: أحمد شاكر، دار عمران.

- **سنن أبي داود**، ت: عصام موسىٰ هادي، دار الصديق للنشر، ط٢، ١٤٤٢هـ.
- **سنن ابن ماجة**، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط١، ١٤١٦هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٩هـ.
- **السيرة النبوية**، ابن هشام، ت: مصطفىٰ السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ.
- **السيرة النبوية الصحيحة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ.
- **شرح السنة**، البغوي، ت: زهير الشاويش وشعيب الأنارؤوط، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- **صحيح البخاري**، مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط٣، ١٤٣٨هـ.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.
- **صحيح ابن حبان**، ت: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٣هـ.
- **صحيح مسلم**، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ.

- **صيد الخاطر**، ابن الجوزي، المكتبة التجارية، ط٣، ١٤١٥هـ.
- **طبقات الحنابلة**، أبو يعلىٰ الحنبلي، دار المعرفة.
- **الطبقات الكبير**، ابن سعد، ت: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤٣٤هـ.
- **عصر الخلافة الراشدة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٤هـ.
- **فتح الباري**، ابن حجر، ت: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- **فتح القدير**، الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- **الفصل في الملل والنحل**، ابن حزم، مطبعة علي صبيح بمصر، ط١، ١٣٤٧هـ.
- **فضائل القرآن**، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٥هـ.
- **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ.
- **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة.
- **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٢٧هـ.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، الطبعة الأولىٰ ١٤١٠هـ.

- **لطائف المعارف**، ابن رجب، ت: ياسين السواس، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٣هـ.
- **لغة التربويين**، د. عبد العزيز بن سعود العمر، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٨هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
- **مجموع الفتاوىٰ**، ابن تيمية، جمع ابن قاسم.
- **مختصر كتاب قيام رمضان للمروزي**، المقريزي، مكتبة المنار، ط١، ١٤١٣هـ.
- **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ.
- **المستدرك علىٰ الصحيحين**، الحاكم، ت: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.
- **المسند**، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.
- **مطالب استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم الطبيعية بالتعليم العالي من وجهة نظر المختصين**، ناصر بن عبد الله الشهراني، دكتوراة بجامعة أم القرىٰ، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ
- **معالم التنزيل**، البغوي، ت: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، ط٣، ١٤٣١هـ.

- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.
- **المعجم الكبير**، الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء، ط٢.
- **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- **معرفة القراء الكبار**، الذهبي، ت: الدكتور طيار آلتي قولاج، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ.
- **المقدمة**، ابن خلدون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.
- **المناهج بين الأصالة والتغريب**، د. محمد صالح علي جان، دار الطرفين، ط١.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط١، ١٤١٤هـ.
- **الموطأ**، الإمام مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.
- **الموهوبون أساليب اكتشافهم وسبل رعايتهم في التعليم الأساسي**، باحثون، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٨هـ.
- **نظم الدرر**، البقاعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية.